



حالات رم الطبقة الأبل: ۲۰۱۷ الطبقة الاباع: ۲۰۱۷/۱۰۹۳ الترقيم الدول: ۲۰۱۳-۲۰۰۳-۲۰۰۳ الترقيم الدول: ۳۰۰۳-۲۰۰۳ التکب خان للنسر والترزيع ⊕ ۱۳ شارع ۲۰۱۶ - دجلة − المادي − القامر: ريد ليکررزي: mfo@kotobkhan.com مرفع التكرزن: www.kotobkhan.com

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب، بأي وسيلة تصويرية أو الكترونية أو مكانيكية، ويقسل ظك الصوير الفوتوغراق، والتسجل على المرطة أو أفراص مضفوطة، أو استخدام أي وسيلة نشر أهرى، يما في ظك خطة للطوف واسترجامها، هون إذر عطي من الناشر.

Arabic Language Translation copyright © 2017 Al Kotob Khan for Publishing & Distribution The Moral Rights of the author have been asserted. All rights reserved.



# حالاتريم

عادل عصمت



تجلس "رع" في صالة واسمة، نوافذها من الزجاج، على مقمد مبطن بقطيفة حمراء، وتلبس تاجا من الذهب، يبرز في مقدمته فص من الفيروز. نظرتها ساهمة وعيناها ثابتنان تراقب شيئا يظهر لها وحدها. مستقرة، في حالة من السكينة، لم تكن عليها في يوم من الأيام.

فتح "مهاب" حينه. أدرك أنها كانت تُتوج أو تُبجهز للزواج، هناك في مكان بعيد، أو زمان قلع. انتبه خلاء البيت منها ومن "مني" ابته الصغيرة. رخب أن يعود إلى النوم مرة أخرى. تقلب في الفراش وفكر في الوقت وفي مناوبته المسائية في الصيالية. عادت صورة "رع".

يملم بزواج زوجه!! قال لنفسه بسخرية. يرى وجهها الساكن والتاج والنظرة المستقرة، وشعرها ينسدل حلى كتفيها. نقوش الفستان وحدات زخرفية لأفصان النباتات. نفطي الرقبة العالية للفستان زهور لوتس صغيرة بألوان من الأحر والأسود. يفلق باب الشقة وهو يفكر أن "رم" في وضع تتوبج. يخرج من باب العمارة. يفاجئه ضوء النهار المباهت. يتعرف بصعوبة على تفاصيل حباته من بين أجواء الحلم. يحاول أن يتذكر أبن ركن سيارته ليلة أمس. يراها هناك أمام على الحردوات المفلق منذ زمن، ساكنة بلونها الأبيض، ومساحات الزجاج مفرودة. يحاول أن يسحب ذهنه بعيدا إلى التفكر في متطلبات يومه: زيارة أمه، ثم شراء احتياجاتها، والنوجه إلى الصيدلية. هناك وقت طويل في مناويته المسائية لمفكر في الحلم.

يدير موتور السيارة، ويفتح الراديو. يتنظر لحظات. تعود دهشته من أنه ينفصل أحيانا هما حوله. صور الحلم تتراهى ملفزة وحية، كأنه قد حضر هذا العرس في يوم من الأيام، على الأقل يعرف القاعة الواسعة، التي كانت ريم تتوج فيها. حينا ريم السوداوان الحيويتان فيهما حيرة وشهوة يعرفهما تماما. مقبلة على حياة جليلة. حاول أن ينحي ذهنه بعينا عن الألم الذي تتركه مثل تلك الأفكار.

قاد السيارة في شارع "علي مبارك". مر أمام البنك الذي احتل مكان الشونة القديمة. انحرف يمينا في شارع الفاتح، وقاد متمهلا. المساء في شهور نهاية العام، له ملمح ساكن وهش لا يجب. لا يفضل تلك الشهور؛ يشعر بأنها شهور وهن. تعود صورة "رع" تنظر إلى نقطة خارج المكان. نقطة ترتاح إليها وتمنحها مسحة من الشرود الذي يحبه. فكر في القاحة، وطراؤها المعماري. تبدو قاحة معبد قديم، أو قصر قديم. قاد السيارة بسرحة وتخطى ناصية مصلحة المساحة، ثم شارع النحاس. وصل إلى بيت والدته، في الشارع الضيق خلف الكنيسة.

ما زالت أمه تجلس تحت شباك المنور في الصالة والتليفزيون يذيع فيلما عربيا. أخذ منها قائمة المشتريات. أنجز المشاوير شاردا مشفولا بصورة رم في حفل التتويج. يتساءل والسيجارة معلقة بين شفتيه: من أين جاءت الصور الصافية في الحلم؟

حاد إلى بيت والدنه. تمرك الأكياس في المطبخ. قالت إن "خالد" اتصل من السعودية. ثم راحت تتابع الفيلم العربي صامتة.

قبل أن يغادر البيت قالت بتودد:

"لا بد أن تصالح نهي أختك، وتتصل بأخيك."

قال بحدة:

"هو يتصل، هو في السعودية، يتصل."

لاحت له بعيلة، فترة توتر العلاقة بينه وبين أخيه. وقتها كان يبيع بقايا الميراث: بيت قديم في شارع الفاتع. شعر باللوم يبطن كلام أخيه؛ كأنه يتهمه بأنه أضاع الأسرة، حتى قال له صراحة، قبل أن يسافر إلى السعودية، إنه فاشل، وفضله أضاع الأسرة، الآن لم يعد يشعر بالدهشة، بل بالفضب وبأن تلك الفترة الداكنة كان بها أمر ضامض لا يستطيع فهمه.

اثناء تصفية بقايا الميراث، ارتبكت أفكاره، وموقفه من أبيه كان يتحول من النقيض إلى النقيض؛ من الحب إلى الكراهية. تحمل لوم الأسرة لأنه أقتع نفسه بأنه فعل ما يجب عليه فعله. كانت فترة لا تحتمل. تلوح في خياله يلفها لون المساء الداكن، وزوجة همه تطارده، والقضايا تنهال عليه من كل جانب، وقتها شعر بأن زوجة عمه تريد أن تطير رقبته أكثر مما تريد أن تسرد نصيب زوجها من ثروة أخيه.

...

ركن السيارة أمام الصيدلية. أصبحت السادسة والربع. جاء متأخرا كالعادة. سوف يحكي لفهمي الحلم، علم يتخلص من ضغط الصور وملاحقتها. جلس على مقمد بجانب الحاجز يراقب حركة "فهمى" الوقورة: يغلق

جهاز الكمبيوتر ويجهز أشباءه للانصراف، ويتمم على الإيراد.

قال بصوت خافت:

"تصدق؟ حلمت جا؟"

لم يرد فهمي. " . ا

"حلم غريب جدا."

ظل فهمي على صمته يتابع إنهاء مناوبته، ثم قال قبل أن يغادر الصيدلية:

"لا بد أن تُرجع زوجتك."

...

بعد منتصف الليل أغلق الصيدلية.

الشارع ساكن.

سيارات نائمة أمام البيوت.

ضوء زاه هند ناصبة الشارع، أمام محل المويايل الجديد، برتقالي، يمنح الشارع صيغة خيالية.

> أخرج الموبايل وطلب "ريم". رنين

سوف يسمع صوتها الآن.

ميتوقف الونين، ويظهر صوفها بيستَنه الخبية من قلب الفضاء المثلم للخط.

المست يسبق الكلام

مبأل صوبها بعد انتهاء تلك المرنة.

العست القصير بين رفات التليفون مساحات واسعة

متوثرة. وتين

.

\* \*

يمند الشارع حتى جسر السكة الحديد. في نهايته معاوات جديدة لم تكتسل البناء. أعمدة إنارة ضوؤها عترق. وكن السيارة أمام على بقالة. اطمأن على إغلاق الأبواب. أمامه ساعة على مناوبته اليوم، ولو تأخر يكن لفهمي أن يتظره. صعد سلالم واسعة مضاعة بضوء أصفر باعت. فتحت حماته الباب؛ في الحسين، جسد بدين، وجون واسعة سوداء. نقس هني "رم". شهوة رم بلورها في تلك العيون الواسعة السوداء.

قالت بترحيب مصطنع:

الملا يا جوز بنتي .

قادته إلى الداخل، وأضاءت النور. انكشفت الصالة الطويلة التي تحتل نهايتها ترابيزة سفرة كبيرة تصل إلى نافلة مغلقة، تنسدل هناك ستاثر ذات خطوط لامعة.

سأل عن "ريم".

قالت وهي تلبس الإسدال: "عند رباب أختها".

ابتسم:

"لا داعي للإسدال يا حماتي. أنت لا تجوزين لي."

قالت: "أنت شيطان."

حاول أن يمازح حاته، لكن القلب انقبض. يسري في الجو توجس لا يستطيع تحييه. انتبه. نفرت حواسه اللماخلية، وشفقه بالعلامات. الآن حليه أن يستغل مواهبه في النقاط ذيذبة الإشارات الحقية. سأل حاته، عن "منى" وهار تذهب إلى الحضائة.

قالت:

"لا تخف، "منى" بخبر."

لحظات صمت مكنته من التقاط التوثر والود الزائف. لم يكن في نفس البيت الذي يعرفه منذ نزوج "رع" يشعر بشيء من الغربة. المكان به شيء غير طبيعي. تأكد حد... عندما قالت حماته:

> "طلباتك يا مهاب؟" قال بدهشة:

> > . 'ز**وج**ني."

رفعت عينها إليه. صمتت لحظات قبل أن تجبب

"أنت طلقتها." "نعم؟"

····."

"طلقتها؟"

"إن كنت لا تعتبر ما حدث طلاقا، أنت حر."

ضحك مهاب:

"مي طلقت نفسها."

قالت بتمهل:

"ولعلمك هذه هي الطلقة الثالثة. كان لا بد أن تأخذ بالك."

نظر مباشرة إلى حاته:

"قلت لها إن تركت البيت تبقى طالق، فنركت البيت، أبقى طلقتها؟"

> "اسأل الشيوخ وستعرف." قال بغضب:

> > "أسأل نفسى."

ساد الصمت لحظات.

قالت حماته بجدية:

"الطلاق وقم."

فتح عينيه على اتساعهما كما يفعل في المواقف التي لا بقدر على تصديقها، ولأن حماته تركت كلامها يستقر فهما واضحا في ذهنه، فلم يجد غير جملة واحدة أخذ يكررها بصوت خانت:

"هي رأيها إن طلقتها؟"

استعد للانصراف:

"خلاص إذا كانت ترى أنني طلقتها، تطلب الطلاق ق الحكمة."

ندم لأنه قال ذلك.

قال ناقما وهو يهبط السلالم:

"طول عمرك أهوج."

أدار السيارة في طريقه إلى الصيدلية. صوت حاته بر نبرة حاول أن ينصت إليها عله يكتشف ما عجز عن فهمه أثناء جلوسه. أراد أن يعرف النوايا. ما الأمر؟ ماذا تريد رم؟ تريد أن تتزوج مرة أخرى وهمي زوجتي؟ طلقة ثالثة يعني لا تجوز لي إلا بعد زواج آخر. يا خبر؟ هذه الأسرة غرية فعلا.

### ...

رم ترتدي بنطلون جيتر وجاكيت بيج من نفس القماش، تخرج من البوابة الكبيرة لكلية التجارة، تنظر إلى نهاية الشارع، ضوء الشمس يغمر الدنيا، ناعما، ذهبيا، في مساء شتوي، ويغمر جسدها. سارت تجاهه. بسمتها لا تقاوم.

لا يصدق أن كل هذا الجمال له.

### ...

اتصل فهمي منير: \*أين أنت يا دكتور؟\* قال معتذرا: "ربع ساحة وأكون عندك." ركن السيارة بجوار بنك مصر.

يفكر في ذلك الشاب الذي كان يركن ظهره إلى سيارة بيجو زرقاء، منذ أكثر من عشرة أهوام. يرتدي بلوفر برقبة ونظارة شحس سوداء. يتطلع إلى باب كلبة التجارة ويسوي خصلات الشمر التي تطير عن جبهته. أين ذهب؟ هل يمكن أن يقابله؟ بدا له أن ذلك الشاب ما زال هناك، ينتظر أمام كلبة التجارة.

...

تقف "رم" على الرصيف. صديقاتها يرفعن أيديهن. خطت تجاهه، البسمة شفافة، الأسنان مرصوصة لامعة، تزيدها فلجة الستين الأماميين روعة. تركته واقفا وفتحت الباب وجلست في المقعد الأمامي.

أمسك يدها وقال:

"اريد ان آكلك."

قالت:

"جهزت نفسي."

994

أدار السيارة.

متى حدث ذلك بالضبط؟ هل كانت الدنيا مضيئة على هذا النحو؟ ربما لم بحدث هذا، بالضبط، كما يراه الأن ذات يوم حكى هذا الموقف لربم. فقالت: "لا أتذكره." نظرت إليه تحاول تذكر تلك الأيام البعيدة وقالت: "أتذكر عندما كنت تتظرن عند باب الكلية لكني لا أتذكر هذا اليوم بالتحديد."

بسبب هذا الرد، بدأ يفكر أن هذا الموقف من إنتاج خياله، انتقاء، تجميع من الذاكرة وليس حدثًا. كل ذلك لم بحدث في يوم واحد، بل مشاهد من عدة مواقف جمتها الذاكرة لتشكل صورة خاصة، منحها التأمل الطويل زمنا داخليا، وبدت كأنها حدث تم على هذا النحو الذي يراه الآن.

قاد السيارة متوترا في زحمة شارع البحر في ذلك الوقت من بداية المساء. يفكر في تلك الصورة الناصمة لبداية تعلقه بريم متأكدا أن هذا الموقف قد حدث فعلا، ولم تخلقه الذاكرة.

قال بصوت مرتفع وهو يتخطى إشارة شارع النحاس: "كيف أثن في ذاكرة ريم، وهي أصلا بلا ذاكرة." تتذكر رم انطباعات، مشاهد، ملامع، ولاتتذكر احداثا مسلسلة. أوحت لمن عرفها عن قرب، بأن ذاكرها ضعيفة، وأنها تشك دائما في ما حدث. الماضي لا يخصها. المواقف التي تستعيدها الآن بحدة ووضوح، مواقف تحدث الآن، وليس منذ زمن، سواء كانت حكاية أم حلما. تحكي من السنوات العشر الأولى من حياتها في الزقازيق، كأنها أحداث لم تحدث "بحق وحقيق"، بل صور ويقايا أحلام وحكايات، وتضحك، من ذلك الخلط الذي يحدث في ذهنها، ويجعلها تشعر بأن ما تعيشه يشبه غزل البنات بذوب في الفم قبل أن تبلهه.

أدرك "مهاب" من بداية معرفته بها أن ذاكرتها لها طابع خاص وأحب ذلك واعتبره غمة من جاذبيتها. في الصباح نفتح عينها كأن تفاصيل اليوم السابق قد محيت، وتستغرق لحظات حتى تتعرف على نفسها ومكانها.

أخبرته أختها الكبرى "رنا":

"أختى سنظل طفلة، كنا نأتي بها من فوق شجرة النبء. وفي المغرب لا بد أن نبحث عنها قبل أن تظلم الدنيا حتى لا بدخل الليل وتكون ساهية تلعب مع العبال."

فسرت له "رنا" انطباعه وأضاءت بعض الغموض

عندما قالت:

"ريم تتوه عن نفسها."

...

في الزقازيق كانوا يقيمون في بيت من طابقين له حوش واسع بلا أسوار. مساحة خالية تلعب فيها مع إخوتها، حيث تقف سبارة مرسيدس موديل الستينيات. الشرفة واسعة بها كنب مفروش بأكلمة بدوية. تقود إلى الباب الزجاجي الذي يؤدي إلى الداخل، وعند ناصية الشارع عمل بقالة، واجهته مدهونة بلون عسلي وفوق بابه لافتة مكتوب عليها بخط الرقمة وبلون أزرق داكن: "بقالة السعادة". كلمة "السعادة" أكبر من كلمة "البقالة". أخبرته "رع" بأن أول كلمة قرأمها في حيانها هي كلمة "السعادة"

أمام البيت يقف حنطور يجره حصان بني اللون. ساتق المختطور هم "عزوز" أحد أبطال طفولتها. رجل هجوذ، بشارب كثيف اصغرت أطراف شعيراته من الندخين. يتسم عندما يراها ويرفعها لتجلس بجواره وتمسك اللجام. يقول إنها "أميرة". هذا هو لقبها الأول، الذي ظل يتجول في أعلياتها وهي تلقي نظرة على الأشكال الغامضة في قاع أعيان الفهوة، تبحث عن ذلك الحس لللوكي الذي كانت

تقود به الحنطور وحم "حزوز" يناديها بالأميرة.

كل يوم تقرأ كلمة "السعادة" المكنوية فوق باب محل البقالة وتتخيلها حريرا أبيض يلمع في الشمس. كل يوم الفكر في الكلمة على هذا النحو وتشعر بالبهجة والسكينة والسر. ذات مساء وهي تميل تجاه "مهاب" الذي كان يشير إلى شيء داخل فنجان القهوة تذكرت أباها وقالت:

"لا أعرف سر السحر الذي كان يحيط به."

كانت تفوح منه رائحة، نشبه البخور. رائحة خاصة جدا. نشمها أحيانا في الهواء بلا مناسبة، عندئذ نستدير حولها كأن أباها قد نجسد في الفضاء. تحيط به تلك الرائحة خصوصا في الأيام التي يعود فيها من رحلاته في الصحراء.

قالت في يوم آخر مستدعية أباها إثر حديث هن الروائح:

"ربما ما جعل رائحته خالدة، هو موته المفاجئ."

جاء من إحدى رحلاته في الصحراء محمر الوجه. تعشى ودخل غرفته.

صحت في منتصف الليل على صرخات أمها وهرولة كل من في البيت. كان صبرها عشر سنوات، لم تجر إلى الصالة مثل أختيها. ظلت راقلة في الفراش تحلق في السقف ولم تصدق مطلقا حكاية موته.

\*\*

هناك مناطق شاسعة، بلاد، أشخاص، مشاع، انطباعات، عرفها "مهاب" بالصدفة. غلالة شفافة من الغربة حاول كثيرا أن يتخطاها، وكان أقرب ما يكون إلى ذلك أثناء قراءة فناجين القهوة، عندما تحكى ريم -ناسية نفسها. عن أشباء حلثت لها في تلك السنوات الأولى. كان أبوها "تاجرا كبيرا". لا تستطيع أن تفسر معنى كلمة "كبير" ولا تذكر غير تلك المهابة التي كان الناس يتعاملون بها مع "الحاج مصباح". يعرفه الكثيرون، حتى ناظر المدرسة الابتدائية، عندما عرف اسمها قال لمدرس يقف بجواره: "بنت الحاج مصباح خليفة". بسبب تلك المهابة والمعرفة المتشرة أضافت إلى التاجر كلمة "كبير". لم تعرف طبيعة التجارة التي يمارسها أبوها. كل ما تعرفه أنهم بملكون مواشي ولهم أطبان في قرية قريبة من الزقازيق.

في بدابة الثمانينيات هادوا من الزقازيق ليقيموا في طنطا بعد موت أبيها. تركت أمها كل شيء هناك وجاءت لتعيش بجانب إخوتها. ميراث البنات مكنها من شراء شقة بالقرب من ترعة القاصد، وبعد بيع ذهبها شاركت أخاها وابن عمها في تجارة قطع غيار السيارات. غير أنها تذهب كل عام إلى الزقازيق لتأخذ نصيبها السنوي من التجارة.

ما كان بحبر "مهاب" في الأيام الأولى لدخوله بيت "رم"، 
هو إحساسه بأنهم لا يتعون إلى المكان. إحساس خامض بأنهم 
غرباء، أو عابرون، خاصة عندما عرف أن خالتها متزوجة من 
خليجي وتقيم في الكويت منذ ملة طويلة، وتشاركهم في 
التجارة. أحيانا كان يمازح "رم" واصفا أسرتها بأنها "نبات 
شيطاني" فتدافع بانفمال قائلة إنهم من أصل البلد، وجدها 
الأمها كان مفتشا في الري من مهنود عاش حياته في شارع 
الغاضي، ويمكن أن تريه بيت المائلة.

هناك جانب غامض في تلك المائلة لم ينبينه قط، وإن سأل فلا يحصل على إجابات شافية. لماذا تسافر أمها كل عام إلى الزقازيق؟ ولماذا تبقى هناك أسبوعا كاملا؟ العلاقة الغريبة بين خالها وخالتها التي تقيم في الكويت. كثير من الغموض يحيط بأسرة "رع"، والأهم أن هذا الغموض يسكن تصرفاتها.

...

"رع" تحب الكذب، واختلاق الأحداث. لا تحب

الحياة العادية. تحب أن تلونها بالأخيلة. يندهش "مهات" هندما تحكي، في اللقاءات العائلية، موقفا حضره ممها؛ غرُله وتضيف إليه تفاصيل لم تحدث، وتمنحه صبغة أخرى. يضحك من قلبه ويحبها أكثر. تنظر إليه وتضحك، مبتهجة بجه لها. بمرور الوقت أدرك أنها تكذب لمتمة الكذب. أحيانا تلذكر أمورا على أنها وقائع ثم بثبت أنها جزء من أحلامها. تؤسس لأصل الملاقات في أسرتها بطريقة أسطورية. تضحك بسهولة جدا، وتبكى بنفس السهولة. تحب المرح والأعباد والأعراس والمناسبات العائلية، لكن حبها الأساسي هو الرقص. "مهاب" يؤكد لنفسه أن في تكوين "ريم" نوعا من الامتزاز وعدم الثبات، ولهذا سقط حملها الأول والثاني.

فات مساء ذهب ليعود بأمه من عرس إحلى القريبات. واحدة من المرات النادرة التي خرجت فيها أمه من البيت لتقوم بواجب التهنئة. يومها رأى "ريم". كانت ترتدي فستانا أصغر حتى الركبة. في بداية التسعينيات كان طراز الملابس الفتوحة من الحلف تكشف السيقان ما زال موجوداً. شعرها كثيف السواد، وهيونها **لامعة هميثة** النظرة. كانت تشب لترى شيئًا من نافلة صالة الشقة،

و"مهاب" يقف في طرقة السلم يدخن. عندما استدارت، رأت كيف ينظر إلي ساقبها بتركيز، فابتسمت. راح يراقبها طول الوقت، يشمر بالإثارة ويحس بالبهجة أخرجه من أفكاره الكثيبة حول موت أبيه ونزاع زوجة عمه على المبراث.

تفتحت حواسه وشعر بحماسة عندما رقعست رم". أثارت صخبا، وكشفت عن حيوية جسدها وتناسق تفاصيله. الخصر النحيل مركز الحركة. مركز إطلاق اللبنبات في الهواء. شعرها ينور حولها مثل الأجنحة، وجسدها يتكر لكل نغمة شكلا. حركة مرتبطة بأخرى، جملة واحدة تتموج بلا توقف، تترك وهجا في الهواه. حركات جسدها حيوية حتى خيل إليه أن أثرها سوف يبقى حركات جسدها حيوية حتى خيل إليه أن أثرها سوف يبقى في المكان بعد انتهاء الرقص. تغمض عينيها وتدور دورة أصابعها وتوجه نظرتها إليه.

أدرك أنها ترقص له، وبعث هذا في كيانه موجة من الصحو. حركت "رجم" انبهارا كان يظن أنه عصن ضده، بعلاقاته المتنوعة ابتداء من بنات كلبة الصيلة والنادي حتى بنات العائلة والجيران. في تلك الليلة تعرض "مهاب" لنوع أخر من الجمال؛ صاحب ومشم يأن من صحق لا يعرفه.

في اليوم المتالي كان يقف أسام كلية التجارة يوكن ظهره على السبارة البيجو الزرقاء، وفي كافتيريا على المطريق السريع قرأ لها الفتجان لأول مرة، وقال إنها تبدو مثل طائر يجلن في السماء

محكت قاتلة:

'قلط، أحس أنني بقرة '

ضبحك مهاب. لم يصنعه الموصف، فقد شعر بأن به لمسة من الحقيقة، وأنه أراد أن يضفي حليها وصفا كاذبا. لم تجارٍه في ضبحكه وأشيرته يجدية أنها تحلم كثيرا بأنها بقرة لامعة ملعونة بماء اللعب.

أخبر "فهمي" بعد علة لقامات مع "ريم" أنه سينزوجها. كان قد افتيح أول صيدلية بما نيقى من ميراث والله، شركة مع زميله ورفيق الطفولة. يومها سأل فهمي:

" وخطيبتك؟"

في ذلك الوقت كان قد لخلى عن ذكرة العزوية الدائمة، وأراد أن يداوي فشله في صيانة ميراث والده "بخطوية طلبة"، كما كان يسميها، من إحدى قريباته! والدها ثري بملك هذة غازن للأدوية وعملا لتوريد الأجهزة الطية. استمرت حيرته عدة أيام وفي النهاية قال لفهمي:

"سوف أفسخ الحطوية."

يومها نوقف "فهمي" عن العمل، ورمى القلم على المكتب الصغير وقال:

"وما ذنب البنت؟"

قال مهاب:

"أبوها غني وألف من يتمناها."

"البنت ارتبطت بك."

قال مهاب:

لن أتمكن من الاستمرار في تلك الخطوية."

قال فهمي:

"يا حم فكر في مستقبلك. طول عمرك بتعرف بنتين أو ثلاثة في نفس الوقت."

"هذه المرة، لن أقدر."

غضب فهمي:

"لكنك تخسر كثيرا."

"أعرف."

مُ ضحك:

"لا تفكر في غير العمل يا فهمي، هذه الخطوية مفيدة لنا، صحع؟"

أجاب فهمي باستقامة:

-

"ما بالبد حيلة لن أتمكن."

مُ قال وهو يتابع دخان سيجارته:

" كلما زرت خطيق لا أستطع الاقتراب منها، لن أتكن من النوم معها."

> أخذ نفسا حميقا من السيجارة: الأمر هناف هذه للرة."

لم يفتح فهمي بهذا التحول المفاجئ، وظل يسأل عن السر، عن طبيعة الاختلاف بين ريم وبين من عوفهن من فلبنات، لكن مهاب ظل عاجزا عن إيضاح الأمر.

#### ...

الأيام التي سبقت خطبته لربم، آيام صحب وإثارة. أفهمي يشعر بالحسارة، وأمهاب يجاول أن يشرح الأمر أميانا يلوح له أن السبر بكمن في ذلك الطبف من البهجة الذي يحيط أرم أثناء الرقص، والضحك والكلام ببراه مثل الأطفال. أحيانا يفكر أنه طعم اللقبلة، تلك الليونة والاستغراق الذي لم يجده في كل من عرفهن من البنات، هنا أمر مختلف، لا يستطيع أن يجسده في كلمات ومن ناحية أمر مختلف، لا يستطيع أن يجسده في كلمات ومن ناحية

أخرى، بدا أنه أمر ساذج لا يصع أن يقوله: "جسمها يفهم، يشعر، يتفاعل" وفي النهاية قال لفهمي بساطة:

عجرد أن أتركها أشعر أنني أريد أن أراها. فيها شيء خامض كأنه سحر."

ضحك فهمي وقال:

"نبرر أهواءك، ستظل هكذا دائما، تتنقل من امرأة إلى أخرى."

قال مترددا:

"هذه المرة تبدو الأخيرة."

ثم واصل التفكير بصوت مرتفع:

"فيها شيء جذاب لدرجة لا تصدق."

قال فهمي مبتسما:

"استحوذت عليك."

أخيرا اعترف:

"ليس هناك شيء ملموس غير أن برجينا متوافقان في الأبراج الأصينية."

نظر فهمی مندهشا:

"هل تصلق هذه الأمور؟"

أسية من أسيات مايو. نزل من السيارة برفقة خاله وزوج خالته. يشعر بالتوتر والبهجة، على مدخل العمارة، تتغل شرائط من مصابيح ملونة. ما زالت هناك حقول نفوح منها راتحة نباتات بالقرب من ترعة القاصد. أمه واخته وينات العائلة وصلن قبله. من خلال وجه "ني" اخته أدرك مدى الغربة التي تعانيها في هذا الجو الذي كان مقسما من وجهة نظرها. بين الحس الشعي والتجاري الفج. لم تستطع أخته أن تجسد قلقها يوم الخطوية، لكن أدرك الأمر بعد ذلك.

# ...

حسن ريم غجري. من أين جاءت الفكرة؟ بمازح "رنا" الأخت الكبيرة ويسألها إن كانت جدتها غجرية.

تضحك قائلة:

"لم يكن لريم إلا واحد مثلك."

ثم تقول وهي تنظر إليه نظرة ذات مغزى: . . . .

" الأنش هي الأنش. الرجل يخلقها من خياله." يقول بجدية:

"غير صحيح، أعرف الفرق بين النساء."

تضحك:

ما حُمَع إلا ما وفَق "

تلمس يده عودة:

"أنت شيطان، لا يمكن الاطمئنان إليك."

كانت أيام بهجة. "رع" لا تتركه لحظة واحدة. تتصل 
به طول الوقت، وتطلبه في متصف الليل. تقول إنها لا 
تستطيع النوم دون أن تراه. يجيطها توهج وثرية في 
مشاعرها، مندفعة لا تعمل حسابا لشيء. تقول ما في قلبها 
بتلقائية، فتته وجعلت الإثارة مثل الضوء يسري في الحياة. 
جسدت ذات يوم بهجتها:

اعمل حسابك، سأنجب سبع صبيان وسبع بنات."

احتضنها وحملها بين ذراعيه وتوجه إلى نافلة الصالة وقال:

"أرميك من الشباك؟"

9 9 6

لم تستمر الخطبة الأولى خير شهرين. ديم تريد أن ترقص في كل مكان. ذات يوم دعه يل خطوبة إحدى زميلامها. يومها رقست يفتنة. تزدهر فيها حياة أخرى أثناء الرقص. جسدها يمثل تموج الماء وليوته كان الحيوية الكامنة في قلب الحياة تشير إلى نفسها في رقص رم. تصبح جسنا عزوجا بالموسيقى، يهل جوهرها الامعا، مضينا، كأنها تجم حط من السساء.

يقف مهاب في ركن مستماع برقصها مندهشا أن كل هذا الجمال له. سمع شابا بقول لصاحبه: "شايف المزد؟ عبل." اقترب منها وطلب أن تتوقف عن الرقص. ابتسمت وراحت ترقص. تركها في قلمرس، ونزل قاد سبارته إلى بيت أمها وأخيرها واقفا أمام الباب:

'بنتك لا تنفعني."

بعد عدة أبام اتصلت "رعم" وأخبرته بأن اللورة الشهرية تأخرت.

عاد للقائها، وجامت الدورة بعد أسبوع. رجع لمل يتها عله المرة دون اصطحاب أسرته، وحندما ثم الزفاف لم يكن مطلوبا أن يكون رسميا، فالأسرة يكفيها الرسميات مرة واحدة. اكتفوا بحفل صغير في شقتهم، وحاد بها في الليل في سيارة "فورد" جديدة لأحد أقارب "فهمي". في الليل أخلق الصيدلية. رن الصاج في الشارع رنينا مجوفا. الثانية صباحا. الشارع ساكن. السيارات نائمة أمام البيوت. السماء بعيلة، تبرق فيها نجوم بلا نهاية. أخرج الموبايل وطلب ريم.

...

"هماني تقول إنها طلقة ثالثة."

".....

"نخيل؟ طلقة ثالثة؟"

رفع "فهمي" نظره من فوق الفواتير التي يراجعها ونظر إلى صاحبه.

"أعرف رأيك."

....."

"إما أن أطلقها أو أطلبها في بيت الطاعة، ولا أجلس هنا أندب حظي." ألقى السيجارة من بله خارج باب الصيدلية وقال:

الكنك لا تعرف...."

قال فهمي بحلة:

٣ أريد أن أمرف. الدنيا ملخبطة، لا تزيدها خبطة." غاسك ثم قال بلهجة الكاهن:

"مش بياطة، يكفينا تعقيد الحياة."

أكمل وهو يتوجه إلى أحد رفوف الصيدلية:

كتت سنموت لو لم تعش التجربة. "

يا فهمي ليست تجرية، لي بنت منها."

آعرف.'

الكنك لا تفهم." "أفهم بطريقي."

نظر فهمي بجلية وأكمل:

ملك صاحبك فكر بساطة وتصرف بساطة."

# ...

ترك "مهاب" الصيدلية دون أن يكسل مناويته، مطمئنا أن صليقه سوف يتحمل ظروف. قاد السيارة. يفكر أن "فهمي" لم يكتو بالنار. لم يعوف الحب. يعيش طول حعره عكله مركزا في عمله. يعود إليه الفضل في إنشاء الصيدليات الثلاث. يعرف طريقه ولا يورط نفسه مثلما ورطت نفسي. طول عمري أحب أن أتورط. رمما أرى نفسي أكبر من حجمي، لأن بعض البنات تعلقن بي. خيل إلي أنني يمكن أن أمبر البحر دون أن أبتل.

يدور بالسبارة في الشوارع. ينسحب ضوء الشمس من فوق شجر البونسيانا في شارع البحر. المساء يخيم على الميدان الواسع المستدير في قلب المدينة بساعته الحربة. يفكر في أن أمرين لا يمكن تحملها: "المسخرة، والألم."

المسخرة تم ترتيبها بشكل ما.

\*\*

كل خيس نزور أختها "رباب". كل خيس بلا نوقف، وتطلب منه أن يمر عليها بعد انتهاء عمله بالصيللية. تعلقها ببيت أختها فاق حدود احتماله. طلبت أن نزور أختها فرفض. نظرت إليه بتحد وقالت:

"لن تمنعني من زيارة أختي."

فتحول وفضه إلى إصرار. أصرت هي الأخرى أن تنزل. خاف أن يمد يده ويجرها من شعرها. خاف من نفسه عندما تفلت أعصابه حتى لا يكسر لها فواهها مرة أخرى. قي تلك الليلة كان قد وصل به التعب والغضب من تبدل أحوالها مداه، فقال: "إن خرجت من البيت تبقي طائل." عندما رجع من الصيدلية كان البيت خاليا منها ومن "منى".

يدرك الآن أنها تعرفه وأنها ورطته في الغضب. مهدت له السبيل ليطلقها دون أن تطلب.

# \*\*

قاد السيارة بسرعة حالية، في الطريق المفتوح بانجاه الإسكندرية. في متصف المسافة استدار وهاد إلى المدينة التصل بفهمي وقال إنه لن يتمكن من العمل اللبلة. دار بالسيارة في الشوارح. لا بد أن يرى "شريف الشايب" "جورو" المتع وحارس الحياة السرية. أيام الشقاوة، كانت شقته هي الملاذ. يعمل مدرس رياضيات، ويستخدم شقة المدروس لأخراض المتعة.

قال لنفسه مستثيرا حماسة قديمة: "جاء وقت الهلس."

لحظة العنمة هي لحظة "شريف الشايب" الذي برى الحياة متعة خالصة. رفيق الدرب الذي ابتعد عنه أثناء الجامعة، وبعد عمله مدرسا وارتباطه بالفينامينات وأدوية القوة الجنسية، راح يزور الصيدلية بانتظام أول كل شهر.

أوقف السيارة أمام البيت، وصعد السلم يشعر بنفتة جديدة من الحيوية. فتح "شريف" الباب وذقته مغطاة برخاوي كريم الحلاقة، وقال متهللا:

"أهلا أهلا يا دكتور، لم تزرنا من زمان."

تركه واقفا عند الباب، وجرى باتجاه الحمام.

باب غرفة الدروس مفتوح. تتناثر فيها كراسي من البلاستيك. واتحة طباشير ويقايا عرق الصبية والبنات. عبر الصالة ودخل غرفة صغيرة فيها مكتب عليه جهاز كمبيوتر وسرير في الركن وعدة مقاعد خشبية قديمة. توقف أمام جهاز الكمبيوتر.

تتصدر نصف الشاشة امرأة عارية على سرير، تتمطى. في النصف الثاني أخرى تخرج من هما سباحة عارية المثدي. ابتسم لنفسه وتوجه إلى الشرفة. المسافة شاسعة بين صور النساء على شاشة الكمبيوتر وبين المنافسات البريثة على حب البنات أيام الثانوية العامة. نقلة واسعة في المذوق. تذكر تلك الأيام البعيلة، وخلافهما الدائم سبب البنات، لكنهما ظلا دائما أولاد حتة وزملاء دراسة. "شريف" بجب "فهمي" ويقدر طهرانبته لكنه واجد "مهاب" ذات يوم برأيه، عندما احتدم الخلاف بينهما بسبب فتاة. أخبره أنه يريد أن يعمل فيها "ابن ذوات"، وأبوه بجرد تاجر فاكهة، ازدهرت أعماله بسبب علاقات مشبوهة أثناء عمله في شركة المطاحن. الله أعلم ماذا كان يعمل. ذلك الكلام الجارح أدى إلى قطيعة في الجامعة. أثناء مرض والده بسرطان العظام في نهاية الثمانينيات فكر "مهاب" كثيرا في هذا الكلام، وظن أن مرض أبيه قد يكون "تخليص ذنوب". انتهت أيام الصبا، وعادت المودة بسبب الأدوية والمتم، وأخذت المشاحنة بين الديكين سمة المزاح. "شريف" يسخر كثيرا من تقدير "مهاب" لوسامته، وقدرته الجنسية، ويرى أن ثقته في أنه قادر على الإيقاع بأي امرأة، مجرد وهم. يقول إنه لا يرى حقيقة النساء. يحب نفسه أكثر مما يحب المرأة، لذا لن يتمتع أبدا.

قال "مهاب" لنفسه وهو يجلس على مقعد قلم في شرفة الشقة: كلام "شريف" صحيح لو كنت أحبهن لما سيطرت علي امرأة واحدة، هجرها يرضني. "شريف" يثبت أنه يجب المرأة في تنوعها. راح يتأمل بيوت الشارع القديمة، والشرفات الساكنة في الليل، تصلها أضواء الشارع الخافتة، ويشع من بعضها ضوء النيون الفضي، يمتاج الليلة إلى فكرة تزيع حسه بالهجر. يدخن ويفكر في صاحبه اللدي تزوج وأنجب ثلاثة أولاد، ولا يكف هن مطاردة النساء بشهوة لا تهدأ. قال له ذات يوم إنه لا يمكنه أن ينام دون أن يعاشر امرأة. أحيانا ينام مع واحدة هنا في شقة الدروس، ثم يذهب ويكمل الليلة مع زوجته.

جاء شريف ترافقه رائحة الكلونيا، يحمل صينية عليها كوبان من الشاي.

جلس في مواجهة مهاب:

عرفت من فهمي أنك طلقت زوجتك."

پمني."

رفع شريف حاجبيه الكثيفين الملتصقين ونظر بثبات لل صاحبه:

"بعني طلقتها؟"

"بصراحة لا أعرف."

احترم "شريف" حيرة صاحبه وحزنه وقلب الأمر مزاحا. أخبره أنه تعرف إلى امرأة جيلة موظفة، تدير شبكة للبنات الصفار، ثم ضحك قائلا:

"أعرف أنك نحب البنات الصغار."

صمت ثواني وقال بجلية:

لو أردت فناة جامعية ماشي. بنت في ثانوي ماشي. أي طلب تقدر أم باسم على تدبيره."

جاء مهاب من حيرته:

مجد؟"

"يابني أنت وصاحبك من سكان كوكب الخيال."

ضحك "شريف" وهو يلف سيجارة بعد أن رش ذرات الحشيش على سطح الدخان:

"كبروا الصيدليات واخسروا الحياة."

"مهاب" يشك في الحكاية، لكنه يعرف "شريف"، في هذه الأمور على قدر ما يقول. سأل عن تفاصيل أكثر. حكى شريف الحكاية. كانت زوجته تقيس الفستان عند ترزي في مساكن البطرويشي. تأخر في العمل، ثم ذهب يومها قابل البيت. أخبره الترزي بأنها رجمت في ناكسي يومها قابل تلك المرأة. يعرفهن من الراتحة والنظرة. انتظرها في السيارة أمام باب العمارة وعرض أن يوصلها. دكبت معه. اطمأت إليه وأخبرته بكل شيء جربها مرة، وطلب تلميلة في الكلية. حققت الأمر، لكن الأجر هال، ثم

ضحك وحكى ما هو أدهى من ذلك.

ناظر المدرسة التي يعمل بها أهزب بخبل بريد أن يحوش كل مليم. أحب أن يتزوج بعد أن تعدى الحمسين؛ فناة ترعاه في الشيخوخة. قاده أحد المدرسين إلى قرية صغيرة فيها بنات، يمكن للواحد أن يتزوج بنتا بألف جيه، ويشغلها خادمة أيضا.

"هناك أشياء كثيرة من هذا النوع."

قال شريف:

أحببت أن أقول لك إن هذا يحدث هنا في تلك المدينة الصغيرة، تحيل لو سافرت إلى القاهرة أو الإسكندرية. الدنيا واسعة با دكتور."

أشعل "مهاب" سيجارة أخرى، وهو يفكر أن الدنيا ضيقة مثل خرم إبرة، وأبدى دهشة كبيرة تجاه الحكاية الثانية.

قال شريف بسخرية:

"يا دكتور، الناس في بعض القرى، لا نجد ما تأكله، والرجل ينجب أورطة حيال، يزوج البنات جله الطريقة، فع وانزاح بعيدا عنه."

مُ أكمل:

"على العموم الحكاية لا تحتاج تخمينا، تعال نسافر لو تحب الآن، أجيب لك واحدة بألف جنيه، بنت بنوت."

مهاب حائر وهو برى الجدية التي ارتسمت على وجه 'لمريف". خائف من تلك البؤرة.

جاءت صورة "ريم" عارية الكتفين تنشر الغسيل في البلكونة: هل تفكر في الزواج مرة أخرى؟

رهبة التزاوج ؛ أصل الحياة، تلعب بنا تلك اللعبة الخطرة.

## ...

رن التليفون وأيقظه من النوم: "لم تخط حتبة البيت منذ يومين."

تبين صوت أمه ، وحرف أنها تكتم غضبها. انتبه: "نوسة بنت خالتك مسافرة ولا بد أن تسلم علبها."

تمطى في الفراش ونظر إلى الساحة. الحادية عشرة. كان المفروض أن يصحو في التاسمة، لينجز أمرا في مؤسسة الأدوية ونقابة الصيادلة. سار حافيا على البلاط، يشعر بأن "رع" كانت معه طول الليل، في رحلة سفاري في الصحراء. في ضوء القمر رقصت رقصا ناهما، كأنه حركة الهواء الحفيقة، كأنه السكينة في نور القمر وصمت الصحراء. أخذ حاما وهو يفكر: من أين جاءت الموسيقى الهادثة التي رقصت عليها رجم؟ كانت هناك موسيقى خافتة وضوء القمر بنير التلال البعيلة.

نزل إلى الشارع. خشيت عينيه أشعة الشمس اللامعة. قاد السيارة ومر على مؤسسة الأدوية لكي يوصى على الطلبية الجديدة. اتصل بفهمي، وأبلغه بما حدث في المؤسسة. توجه إلى نقابة الصيادلة. وجد شارع صدقى مغلقا من شارع البحر، وسيارات الأمن المركزي الزرقاء تصطف من أول كنيسة الكاثوليك حتى دار الكتب. صف طويل من العساكر بجانب سور إدارة الجامعة. أخبره الضابط بأن الشارع مغلق من شارع سعيد أيضا. سأل مهاب عن السبب. قال: "ولاد الجزمة الصيادلة الإخوان عاملين نضامن مع غزة." حياه من داخل السيارة وقادها باتجاه بيت خالته. لكل إنسان طريقته في عبش الحياة. الإخوان لهم طريقة، وأصدقاء فهمي في الحزب الوطني لهم طريقة، والدكتور نبيل ملاك، والشيخ عصام وأنا، وخالتي.

في مساكن الموظفين. طلع الدور الثالث، وسلم على نوسة بنت خالته. جلس قليلا بمازح خالته، حتى ينهي فنجان القهوة، واعتذر حن أنه لن يتمكن من البقاء للغفاء. توجه إلى بيت والدته يلحقها قبل نوم الظهيرة.

كالمادة تجلس تحت النافلة ولأن الجو كان باردا فطت كتفيها بمرام ثقيل:

"يا ماما، "نهى" قالت لك: لا بد أن تقفلي شباك المنور؟"

جلس على مقعد بجوارها. لا يجد ما يقوله. قام وأهد لنفسه فنجانا من القهوة. بعد أن شربه، كفاه على وجهه في طبقه وأزاحه تجاه أمه.

قالت:

"أخوك اتصل مرة ثانية وهو قلق عليك."

قال بصوت خافت:

"طمئنيه"

تمعنت في الفنجان:

"سكك ضيقة."

واحدة مفتوحة والثانية مقفولة."

تمعنت:

"ميني خريب كأنه محطة القطر"

"أنت على وش سفر."

ضحك:

"يا ماما، من على وش سفر هو قهمي." .

أكمل مزاحه:

"لا يهم، أنا وفهمي واحد."

قالت أمه وهي تدقق:

"صخرة نجلس عليها بنت صغيرة."

أمسك الفنجان وراح يفحص أشكاله، باحثا من البنت الصغيرة التي تجلس على الصخرة. تذكر "رم"، وخاف أن تسأله متى يعيد زوجته.

وقف یلم مفاتیحه وسجائره وأخبرها بأنه سوف پمر علیها خدا.

أدار السيارة كأنما يتخلص من مأزق وانطلق متمجبا من جلوس أمه فترات طويلة في نفس المكان. يا ترى ما هو إحساسها بحياتها؟ ما هي الصور التي تخطر لها طول النهار؟ رمما انتقلت الأفلام المربي التي تشاهدها وسكنت ذهنها بدلا من حياتها.

400

تميل "ريم" تجاهه. تتفحص الصور والأشكال التي ألُّفها

البن في قاع الفنجان. تشير بإصبعها إلى رجل مهيب يلبس عمامة في ركن الفنجان. تدعي أنها لا تراه. تميل أكثر حتى يحتضنها. تتلوى بين فراعيه، ثم تقوم قائلة إنها متعبة. تعود مرة أخرى، وتنظر إلى قاع الفنجان، وتستفرق. يخاف أن يوقظها من لحظة السريان في النوم. ينصت وتتبه حواسه، لأنه يقترب من منبع السحر.

تقول إن أباها كان مثل أحيان الريف. يرتدي الجلباب البلدي كأنه حملة. شعره فضى وسوالفه طويلة، وأنفه مستفيم الملابس البلدية تليق عليه كما تليق عليه الملابس الأفرنجي. عندما تجهز له السيارة المرسيدس لكي يسافر إلى المقاهرة، يرتدي البلة الكاملة ويظهر كأحد بشوات العهود القديمة لا تعرف لم مات بهذه السرعة.

تنظر إلى وجه "مهاب" مذهولة: "لم مات بهله السرحة؟" لم لم تسأل: "أبن السرحة؟" لم لم تسأل: "أبن يذهب الموتى؟" تصمت ويظهر في حينها طبف من الذهول: "صحيح لم مات بهذه السرحة؟ هل يكن أن أراه مرة الخرى؟"

تبلو كأنها تطلب من "مهاب" أن يعيد إليها أباها، وتقول مثل طفلة خاضبة، إنها تحبه، وتريد أن تراه الآن. يشتمل البريق في عينها، وتحضر لحظة هيابها. تواصل النظر إلى وجهه، كأن عليه أن يعيد الآن أباها من موته. نظرة العين والتحديق المستغرق الشارد يكشف له لمسة من الجنون.

نتبه وتنزل دموهها ثم تتحدث عن رائحته التي تشمها في الفضاء، فنقوم من النوم، كأنه جاء لزيارتها ومضى. لا نعرف إلى أين يذهب الموتى، لكنهم يعرفون أين نعيش، ويجيئون لرؤيتنا. الأحلام غير مشبعة، تود لو تراه مرة واحلة، "بحق وحقيق".

تبكي صامتة ويكبس عليها الحزن. يظن "مهاب" أن حزنها سوف يستمر طول اليوم، لكنها بعد قليل تنسى كل ذلك، وتجلس لتشاهد التليفزيون بنفس الاستغراق الذي بكت به منذ قليل.

...

أغلق الصيدلية. الشارع مبلل بالمطر. ضوء أصدة الإثارة خافت يلمع على الأسقلت. واتحة أول الأمطار. ماذا تفعل رع الآن؟

الثانية صباحا.

لا بد أنها غارقة في أحلامها.

لا بد أنه مجنون، لأنه تمنى أن يدخل أحلامها خلال

قراءة الفنجان.

رائحة المطر والأرض.

ينظر إلى السماء.

سحاب أبيض يمر في صفحة السماء.

ير، ير، ير،

نجوم تبرق كلما مرت سحابة.

من يدخن الآن في أي بلكونة، ويراه معلقا بصره بالسماء، لا بد أن يظنه مجنونا.

مجنون، لا بد، أنه مجنون.

السيارة تسكن مكانها.

أخرج الموبايل وطلب ريم:

رنين

ينتظر بحة صوتها اغبية.

رنين

يطلبها مرة أخرى

رنين

أدار السيارة. لو يُعلم بها ترقص في ضوء القمر مرة أخرى.

...

تحب "رع" إعلانات التليفزيون أكثر من الأخاني والمسلسلات، وتنتبه إلى سرعة الإيقاع والمرح والعوالم الحيالية التي تيرها الإعلانات، معجبة بالعقول التي ابتكرت هذه الثروة من الحكايات الملونة. لا تطبق نشرات الأخبار. تتهكم على الوجوه المقعرة الثقيلة الدم والروح، وتتساهل ما الذي يجعلهم عملين ومعجين بهذا الشكل؟

هندما سقط حملها الأول، أخبرت "مهاب" أنها خانفة ألا تتمكن من الإنجاب. يومها ضحك، لكنها كانت تتحدث بجدية، وفي الأيام التالية أصبحت دموهها تنهمر بلا سبب هندما ترى أطفال الإعلانات يزحفون على بلاط لامع أو عشب أخضر، مفمورين بضوه الشمس.

تربط شعرها بمنديل وتبدأ تنظيف البيت يوم الجمعة، متعجلة، تربد أن تنتهي من الفسيل والطبيخ والكنس وكل شيء، حتى تأخذ هامها وتتعطر وتمدد مسترخية على الكنبة، أو تخرج للقاء زميلات الكلية، أو تزور أقاربها. أثناء جلوسها شاردة أمام النسريجة تمرر المشط في شعرها الطويل بلا غرض، وتنظر إلى ملاعمها. أحيانا تربط رأسها بمنديل أزرق. وتشله بقوة من الخلف، وتبقى طويلا تشاهد التليفزيون، لا تنحرك، لا ترد على التليفون ولا جرس الباب، وتترك البيت على حاله.

ذات يوم دخلت غرفتها في المساء وأطفأت النور. سألها مهاب إن كانت ستنام في هذا الوقت المبكر. قالت إنها مرهقة. في متصف الليل قامت متعبة وتقيأت. عرف أنها حلمت مرة أخرى، وبدأت مخاوفه. أجلسها على كنية الصالة. وجهها شديد الاصفرار، مرتحبة كأنها بلا أعصاب. تميل معه، وتسند رأسها على كنقه. تحدق في الحلاه كأنها ترى ألها هندما سقط الحمل السابق.

قالت:

'يمكن دور برد؟"

قال مهاب: "آنت حامل."

نظرت إلى وجهه خير مصدقة. بهله المسرحة؟ لم تفق من الحمل الأول، والثاني، وقد مرضت في الحمل الأخبر ونزفت بشسة.

قالت بصوت خفيض وينبرة متهكمة:

"ضروري أحمل، أنت لا تتركني ليلة واحدة."

في الصباح، دخلت الحمام وغابت فيه. خرجت بوجه حي متيقظ، وإن كان شحوبه ما زال باقيا. ارتدى "مهاب" ملابسه وجلس يتنظرها في الصالة. ارتدت ملابسها ببطه. كان من الضروري أن تحمل حتى لو ماتت. يظهر في طيفها وفي حركتها ذلك التصميم المضمر، جدية لم يعهدها في غير موضوع الحمل.

الحادية عشرة صباحا. الشوارع خالية في هذا الوقت، بعد أن دخل الأطفال المدارس. عيادة طبيية النساء في عمارة عالية بالقرب من ميدان المحطة. وقف "مهاب" في الشرفة يطل على المساحات الواسعة من البيوت. الشبكة المترامية من الحارات والبيوت والأسطح والبشر، هذه الكثافة المربكة والتي ترشح بالأمراض، والمتع السرية.

ألقت الطبيبة شمرها إلى الخلف، ووجهت كلامها إلى "مهاب"، بنظرة باسمة وعينين صليتين خلف نظارات بلا إطار:

"لا بد أن تسنريح خلال الشهرين القادمين."

مالت لتكتب الروشية، ثم أطاحت بشعرها إلى الحلف مرة أخرى. شابة، لا ترتدي حجابا. أحجبت

"مهاب"، فظل يسألها أسئلة ساذجة. ابتسمت وقالت:

"باختصار، راحة نامة."

ترقبه "رم" وهو ينظر إلى الطبيبة بإهجاب، قرصته بمدة في ذراعه وقالت:

"سامع؟ راحة نامة."

...

بعد الولاد ظلت نائمة فترة طويلة.

جلس في طرقة المستشفى يدخن. اندهش عندما رأى أمه نصعد السلام ببطء. قام يقابلها وقال مازحا:

"يا ربي، أخيرا تركت مقعدك تحت شباك المنور."

قالت من فورها:

"ولد ولا بنت؟"

'مني.''

"أحسن من الصبيان."

اضطرت باحتبارها جنة أن تفارق مكانها كي تشهد ميلاد حقيلتها. بوجه باسم أطلت على الطفلة وقبلت كفها المطبق، ثم حادث إلى الطرقة. خرج معها يوصلها.

نالت:

"انتبه أصبح لك أبناء، فاهم؟ يعني ذرية."

نظرت إلى وجهه غير مصدقة من أنه سوف ينتيه. ثم توجهت إلى السلم رافضة أن يوصلها إلى البيت.

ظل جالسا في طرقة المستشفى، يفكر في كلمة "فرية". لم يقصد من أمر الزواج غير "رع"، لم يكن يقصد فكرة أخرى من وراء حبه لرع. بعد الحب لا بد أن تأتي اللرية، ماذا تمني فرية؟ وهل الأمر هام إلى هذه المدرجة حتى تتخلى أمه عن كمونها في البيت وتخرج رغم مرضها لترى فريتها؟ النساء مجملن فكرة اللرية بطريقة لا يفهمها. أطل على النائمة والطفلة بجوارها تحرك يديها وقلميها. ستكون ذات يوم "رع" أخرى. جاءت لحظة نعجب كأنه يشهد معجزة.

...

الرقص فننة "رع". يوم تركته يتزل وغامرت بفسخ خطويتها كان ذلك من أجل أن تكمل الرقصة. تيار من الحيوية يسري في الجسد بمجرد انتشار الموسيقي. كم مرة أهجبتها موسيقي ورضبت في الرقص، لكن الأمر لم يتم؟ لا يمكن أن يرقص المرء لنفسه، يمكن أن يتني لنفسه، لا بد من طرف آخر في الرقص، تطل من عينيه نظرات إعجاب، لا بد من مرايا تحول الرقص إلى بهجة، إلى تموج من الإثارة.

في المرات التي شاهدها ترقص شعر برجفة من نوع خاص. رجفة دفعته ليفكر أن روح "رع" الحقيقية تنطلق في حالتين: أثناء الرقص، وأثناء محارسة الحب.

ذات يوم شعر بخوف أثناء رقصها، فقد رأى كيف توارى الغلاف الخارجي لرج ؛ توارت القشرة الهشة للكائن الذي لا بد أن يتصرف بطريقة معينة في حضور الناس، وهبّت روح أخرى لايعرف من أي مكان جاءت. في الرقص والحب تتحرر، تجد سجيتها، وتستمتع بالحيوية المبثوثة في الجسد. يفكر "مهاب" أن جسدها يفهم أكثر مما تفهم، عندما يبتكر حركته ويبدع طرقا لا تخطر على البال لتلوين حركته يشعر أحيانا بتلك الرغبة المضمرة في أن تفارق حباتها، وتحن إلى بقلة أخرى، إلى أمر ليس من هنا، تطلع إلى مكان آخر، وزمن آخر.

يوم السبوع، رضم تعبها، أصر أقاربها أن ترقص. لم يتوتر من رقصها ولم يخفه. كانت مرهقة، تشير إلى الحركات ولا تنفذها، كأنها جسد من خزف. تحوفها إلى أم أعطاها انطباها أخر، كأنها تتذكر جسد الأنثى. تتطلع بدهشة إلى "مني"؛ قطعة منها قد انفصلت وأصبحت كاثنا أخر. كان الأمر غريبا ألا تتمكن من الرقص بكامل حيويتها ومع ذلك نظل فاتنة. وقف مهاب براقب حركتها: من الصعب أن يفهم اللغز. ولاح له أنه يخاف من تفجر الطاقة النائمة؛ الحس الغريب الذي يسيل منها عندما ترقص.

...

في الليل يغلق الصيدلية. الشارع ساكن. أخرج الموبايل وطلب رم. رنين ....

....

. سوف يسمع صوتها بعد توقف تلك الرنة. زنين

...

قال فهمي: "أنت خبطت حياتك منذ البداية." قال مهاب متفعلا: "مينت ما أريد." أضض هينيه: "ما حلث في من صنعي." تغير وجه "فهمي" وقال بحلة: "إحم. هناك أخبار جديدة."

استمر "مهاب" مغمض العينين، والسيجارة معلقة بين فته:

"بنا ابن صعي كلمني من أمريكا. احتمال أسافر الشهر القادم. سأبقى هناك ثلاثة شهور، أجرب إن كنت سأتمعل الجو. يعني سوف أفيب عن العمل، وأنت في هذه الحال خطر على ما اجتهدنا من أجله عشر سنوات. لو أم تعبعُ فسوف يضبع كل شيء. فاهمني؟"

فتح هيئيه وتطلع إلى وجه صاحبه، ولم يتكلم.

أدوك "فهمي" صعوبة ما قال. عرف أنه يزيد تشوش صديقه. قام من أمام الكسبيوتر. دخل المخزن في نباية الصيدلية وخاب لحظات.

عاد تاكلا:

"كلمت مراد ابن خالي سوف يتسلم العمل مكاني." أخطص "مهاب" حينيه مرة أخرى. دخان السبجارة يتموج حول رأسه. "سوف يريحك أكثر مني."

أكمل مُطَمِّتنا:

"ستمر هذه الفترة."

قال "مهاب":

وإن أعجبك الحال هناك؟"

لم يأت الرد.

ظل "فهمي" ينظر إلى شاشة الكمبيوتر. أدرك "مهاب" الإجابة.

دخلت فتاة صغيرة وطلبت دواء للحكة. انشفل "فهمى" بالحديث معها.

ظل "مهاب" صامتا يراقب خيوط الدخان تتراوح في الفضاء. لم يعد ينتظر إجابة. يتذكر فيلما أجنبيا شاهده مع "رم" اسمه: "الأرض تميد". حنوان الفيلم يمثل حالته. أشعل سيجارة أخرى، ولم يتبه إلى مغادرة الفتاة الصغيرة الصيدلية.

مر بمثل هذا الوضع أيام موت أبيه. يبدو أن ذلك هو طابع الأمور، وليس حالة النماس الشفاف التي عاش بها السنوات الماضية. هذه هي طبيعة الحياة، كثيرا ما كانت على هذا النحو. لم يخاف الآن؟ سوف يعيش مثلما هاش يوما بعد يوم. لا يوجد غير اليوم. الحياة تنتهي كل يوم عندما يفلق الصيفلية في الليل.

ضمر الحزن قلب. فكر أن 'رع" بجعرها للبيت نزعت من حياته البهجة. أبطت حياته بضربة واحدة. أن الأوان يخوض تجربة أخرى. عليه أن يواجه ما يخاف من مواجهة: 'رع أم تعد ترينك.' فصة كالصهد في الأحشاء طوح رأسه: رخم المرارة عليك أن تردد تلك العبارة وتتقبلها: 'رع أم تعد تريدك.'

هليك أن تبحث عن الحب في مكان آخر. ترك مناوبته وغادر الصيدلية.

## ...

قاد السيارة إلى الطريق الزراعي. سار في الظلام فترة طويلة. وجه 'رع' بطل عليه، وصوت 'قهمي" بحذره من تشتته. هناك أمر خفي في الطريقة التي يتحدث بها صليفه، انتابته نفس الشكوك من قبل؛ أطلت برؤوسها المصغيرة بعد زيارة حاته. رعا وجدت الوساوس، في حيرته، ملعبا تتحرك فيه براحتها، وجهاز الاستشعار الذي كان يفخر به طوال عمره، تعطل.

## مل بدأت الأومام؟

صندما ذهب مساء أمس، تحت إلحاح أمه، لزيارة أخته "بهي"، قضى وتنا طيبا يلعب مع ابنها، وقبل أن يغادر البيت قالت: "لا بد أن تعبد زوجتك" و"فهمي" يتحدث اليوم بيأس، كأنه فقد الأمل في إصلاح تشوشه، ووسمت كلامه نغمة غرية، حاسمة. ما الذي حدث؟ هل سرقته غفوته واطمأن، بدون وجه حق، لحواسه وخرائزه الخفية حتى تغير ما حوله دون أن يدري؟ تغيرت "ريم" وتغير "فهمي" وهو في غيبويته.

عاد بالسيارة تجاه المدينة مرة أخرى.

قال لنفسه: أوهامك سوف تحطمك. أحصابك المرهقة ستقضي علبك. ولكي يوقف شكوكه، حاول أن يستدعي تاريخ صداقته مع فهمي، من أيام المدرسة الابتدائية، وفترة موت أبيه، وكيف ساهم في أن ينقذ ما تبقى من للبراث، وأدخله شريكا في صيدلية شارع النحاس، ثم افتحا معا صيدلية شارع توفيق باشا، وواحدة أخرى في قرية قريبة من طنطا.

"فهمي" لا يكن أن يكون من هينة الدكتور "نبيل ملاك"، الذي يبث خاوف عن خطورة الأوضاع الاقتصادية، في عائلته وأقاربه لكي يحصل على أموالهم ويستثمرها في تجارة الأدوية. "فهمي" ليس من هذا النوع. "فهمي" جدع. لكن السؤال ظل يجاوره أثناء اقترابه من المدينة: "هل يريد أن يخرجه من الشركة؟"

قال لنفسه وهو يركن السيارة أمام الصيدلية: "الأرض يد."

أمر بواب العمارة أن يغسل السيارة، ورأى "شريف الشايب" يميل تجاه "فهمي". يبدو أنه يتفاوض على طلبية أخرى من الترامادول.

جلس "مهاب" على أول مقعد.

قال شريف: "ما لك يا دكتور؟"

کا تک یا دن. لم یرد مهاب.

"لا تأخلها بجلية أكثر من اللازم ، الحياة بجرد رحشة." مهاب يدخن في صمت:

"لعبة يا صاحى، الحياة لعبة."

ضحك فهمى:

"امع كلام الحكيم."

انتهز شريف الفرصة:

"طبعا حكيم، أعرف الدنيا من فير أوهام."

نظر تجاه مهاب:

"لا أعيش في حلم يقظة مثلكما "

ضحك فهمي من قلبه:

"أحلام يقظة؟ يا خبر على دمافك. الصنف خرم فك."

"أنت لأ يا فهمي. أنت تميش في حصة حساب." أشار تجاه مهاب:

"صاحبك هو من يعيش في حلم يقظة."

تبادلا المزاح وظل "مهاب" على حاله يفكر: كيف حدث هذا وهو خاف؟ تغيرت ريم، وفهمي تغير، وكل شيء يتحرك حوله، وهو في مكانه. لا بد أنه فعلا يعيش في حلم يقظة.

جر "شريف" كرسيا وجلس بجواره، مال عليه وهمس:

"جرب مرة واحدة. لن تخسر "

"بنت في الجامعة وعهد الله تخليك تجيبهم في هدومك." قال مهاب:

<sup>&</sup>quot;سأمر عليك نتكلم"

قال "شريف" وهو يميل تجاهه:

"سوف تجرب وتشكرني، وتنسى امرأتك وغيرها، وتتخلص من خرافاتك."

ضحك "فهمي" وهو يتزل من فوق السلم في طرف الصيالية:

"اصح يا مهاب سيورطك."

الأمر بعيد عن التصديق، لا يمكن أن ينام مع امرأة لا يعرفها. فعلها أحبانا أيام الشباب، عندما كان يقيم عدة علاقات في نفس الوقت. مضي على ذلك زمن. الأيام تمر بسرعة. يبدو كأنه عاش قرنا رغم أنه في التاسعة والثلاثين من همره.

هل بمكن أن يعيد ذلك الشاب إلى الحياة؟ بدا له الأمر بعيدا عن التصور. هناك تغير جوهري قد حدث في روحه وجسده. ما زال يجب الأنثى. تذكر طبيبة النساء التي حاول أن يعاكسها. لكن الأمر لا يتخطى ذلك. لا يتحرك جسده. لا يريد غير مرح المعاكسات وتفتح النساء أمام إعجاب جديد.

خادر فهمى وشريف الصيدلية.

فكر كثيرا أن يتصل برع. أمسك التليفون ثم أهاده إلى مكانه فوق المكتب. أشعل سيجارة. دخنها مغمض العينين.

994

تملم "مهاب" قراءة الفنجان من أمه وساعده خياله على تلوين الأشكال التي تتكون في باطنه. في الفترة الأولى من الزواج احتاد أن يقرأ لريم فنجانها، ثم أصبح ذلك طقسا يوميا يداعبها به، لكنها أحبت الأمر. كل يوم تنتظر المساء كي تشرب القهوة ويقرأ لها الفنجان. ثم أصبح إدمانا، عندما تزهق تنظر إليه بشغف وتقول: "اقرأ لي الفنجان."

أثناء قراءة الفنجان تتحول "رع" إلى كائن يؤمن بكل ما في الدنيا من خرافات. تؤمن بأن هناك معنى خفيا للطيور المملاقة، ومعاني للوجوه والعيون والثمابين والثمالب. تقدس تلك الصدفة التي ترسم على سطح الفنجان أشكالا، تستجيب لها من أحماقها، وتستغرق متوترة في تأملها، وتصر أن تستخرج منها الحبايا والنبوهات. تظل تحدق في الفنجان وقتا طويلا حتى شعر "مهاب" ذات يوم أنه أخطأ عندما أغواها بتلك اللمة، فقد وجد فيها حبها للخرافات والأمور غير العادية، تجسيده.

الأشكال التي يكونها البن في قاع الفنجان تساعد ريم

على التذكر. في بعض تلك الجلسات بعثت صورا لأشخاص طفولتها. أحيانا يحضر حسها الغائر بالمدينة التي ولمت فيها ويشع بريق حينها وهي تتعجب من أنها هاشت هناك ذات يوم. تتذكر عم حسن البقال ورائحة الجين القديمة التي تفوح من عله، وأم سيد بائمة الدوم أمام المدرسة الابتدائية، والدرويش الذي كان يقف أمام باب الدار بجلباب أبيض وهمامة خضراء، في أول يوم من رمضان، وعامل الاستاد الرياضي الذي صادفته كثيرا في الشارع، يمد يله للمارة بصورته وهو يطل كمال الأجسام، ويكشف ساقه التي دمرتها حادثة سيارة ويسميه تلاميذ المدرسة: أبو رجل مسلوخة.

ذات يوم ظهرت في قام الفنجان خطوط تشبه الضفائر، فتذكرت "نبيلة المهدي"، زميلتها في المدرسة الابتدائية. ابنة محاسب البنك، وتحدثت عن إعجابها بضفائرها النخينة رغم أن شعرها لم يكن ناهما، تنظر "رع" إلى الضفائر بتمجب طفولي وتحكي عن مفامرهما في جيئة البرتقال القرية من بيت "نبيلة". تضحك وهي تتذكر ثم تعول: "راتحة زهور البرتقال في إبريل تغم النفس من داخل المجنبة، وغم أنها جيلة من بعيد." حاول "مهاب" أن يستدرجها ليعرف ما حدث في حديقة البرتقال لكنها أنافت

## من غيابها ودفعته في كتفه: "أنت مجنون؟"

عم "عزوز" هو الشخص التي حضر بكثرة في أشكال الفنجان. كل غة من الأشكال تذكرها إما بالحنطور او الحصان أو به نفسه بجلبابه الأزرق، ووجهه الباسم وشميرات شاريه الصفراء من أثر التدخين، وحصانه البني الذي يحدثه كأنه بني آدم. في كل مرة يبتسم لها. ربما أحبت نفسها بسبب إعجاب عم حزوز بها. وقلرت ذاتها بسبب نظرته تقديرا عاليا، واعتبرت نفسها بشكل ما، وعلى نحو فامض، أميرة، وراحت تؤكد هذا الأمر، عندما رقصت وهي طفلة في فرح أحد الأقارب وخطفتها قريبتها من قلب العرس بعيدا عن جم النساء، وهمست الأمها: "ارقى البنت." بعد ذلك تأكد هذا الحدس، وأدركها شعور غامض بأن بها شيئا مختلفا عن إخوتها البنات، عندما حلمت بأنها بقرة مطلبة بالذهب، وحندما اكتشفت أن لها هوى مختلفا بالروائح والملامس والأفكار السميدة، وانتظرت أن تمنحها الحباة البهجة التي تمنحها الحكابات للأميرات.

...

شارع البورصة مزدحم. صخب شديد أمام شارع درب الأثر. آخر أيام رمضان. يقود "مهاب" السيارة ببطء، ناركا أفكاره تسير على هواها. رأى عمته الكبيرة نقف حائرة، نتظر سيارة أجرة.

> أوقف السيارة وقال: "تأخرت عن ميعاد النوم." مالت كي تنين الوجه. ابتسمت قائلة: "مهاب؟! ازيك يا ولد."

ركبت بجواره. أخذه وجودها من أفكاره. عمته الكبيرة التي كان أبوه بجبها ويكن لها الاحترام. سألته عن أحواله وعن والدته وأبدت أسفها لأنها لم تعد تزورها. قال:

"هي الأخرى أخذت طريقك، ولم نعد ترى أحدا."

في كل مرة تقابله، لا بد أن تتحدث عن أبيه. تعيد بوجوده وجود الراحل. نوع من تداعي الأفكار. زحمة الشوارع تركت فسحة من الوقت لكي تسترسل في الحديث. مرة أخرى، بعد صمت قصير، أخذت تتحدث عن والله، وكيف كان شهما خطفه الموت بسرعة:

كان في شبابه نابها وقلنا سوف يصبح أستاذا في الرياضيات. أستاذا كبيرا. لا أهرف ما الذي حدث له في الجيش. خرج بعد أن قضى سبع سنوات، يبحث عن حياة نشطة، أراد أن يتاجر، ويسافر، ويلعب."

صمتت قلبلا وأكملت:

"عاش حياته ونصيبه." سألت:

"ماذا فعلت مع زوجة عمك؟"

قال ببساطة:

"خلصت علي، أخذت ما أرادت، وأكثر." استغرقت في أفكارها.

أوقف مهاب السيارة أمام بيتها. أصرت أن يتناول ممها فنجان قهوة.

قالت وهي تنزل:

"الحمد لله أني شفتك وتكلمت معك."

قتحت الباب وأنارت المدخل، وقادته إلى الطابق الثاني. نادت بنت ابنتها التي تقيم معها. طلبت منها أن نعد فنجان قهوة مضبوطا. قالت وهي تصعد السلم أمامه إن البنات حمل ثقيل. فهذه البنت تخرجت في قسم المكتبات والاتجد عملاحتي الآن، وتقيم معها لتؤنس وحدتها. قالت: "أدعو الله أن يوفقها إلى إنسان يصوبها. لا نريد فير ذلك، الكن من الصعب أن تجد ابن حلال هذه الأيام." كررت

الجملة بطريقة أخرى، وهي تفتح باب صالون عتبق، الهواه فيه مكتوم، كأنه لم يفتح منذ سنوات. زيارة لم تكن على البال، لكنه لم يستطع أن يتخلص من المقهوة الماثلية الإجبارية.

جلست على للقعد المقابل وبدت كأنها سيدة من زمن فدع، بالحجاب الملفوف على رأسها على شكل حمامة. حضرت تقريبا كل أفراح المائلة ومآسيها، راهية لكل الحلاقات، لا تترك خلافا إلا وتسعى إلى رتق الصدع حنى ماتت ابنتها الكبيرة، فهجوت العائلة وأصبحت حبية هذا البيت. رخم ذلك بدأ أنها لم تكف عن الاعتمام بشأن العائلة صنعا راحت تحدثه عن أبيه وأصل الحلاف مع زوجة العم وهي ثبدي حشة من تبدلات الحياة:

'بعد هذا العمر، لا أعرف الناس. لا أصدق ما يحدث هذه الأيام، ولا ما حدث من قبل."

دفعت وجهها كأنها مضطرة أن تمترف بما لا بد منه، جزاء خله المصادنة الطبية:

كل ما أعرفه أن زوجة حمك كانت تريد المرحوم والملك."

أوضحت الجملة:

"كانت تريد أن يتزوجها بعد موت همك."

فتح مهاب عينيه على اتساعهما، وبدا أنه، فجأة، يكتشف ما عجز عن فهمه طوال تلك السنوات، ويلمس أصل الكراهية التي أودت بأغلب ما تركه أبوه من أموال ومشاريع. بالصدفة تكشف عمته أمامه، النقطة الحساسة التي شعر بأن العائلة تعرفها، لكن أحدا لم يقدر على الحديث عنها في العلن.

سمع حفيف شبشب على السلالم. دخلت فتاة غيلة، وجهها شاحب، لا يتعرض لضوء الشمس، وخمن أن تلك الفتاة نظل في فراشها طول الوقت، ويحيطها النعاس بهالة من الصمت. وضعت الصينية على المتضدة وسلمت عليه.

بعث دخول الفتاة لمسة حيوية في السيدة العجوز وقالت مندهشة:

"ألا تعرفينه؟ مهاب ابن أنكل محمود.."

حاولت الفتاة أن تبتسم وقالت بضع كلمات بجاملة وانصرفت. ممع خطواتها تنزل السلم بسرحة. سكنت السيدة في صمتها وهي تتناول القهوة بوقار. ترفع الفنجان بحساب وبطء ونضع أصابعها تحته بخفة. تأخذ رشفة رقيقة، تعيد آداب السلوك التي تعلمتها في صباها.

قالت مرة أخرى:

"الله يرحم الجميع" وضعت الفنجان بنفس الطريقة الوقورة على رخامة

المنضدة:

"كل شيء راح لحاله."

يرتكز "مهاب" بكوعه على مسند الكرسي، ويركن وجهه على كفه، ما زال يشعر بالرهبة والدهشة تجاه الحقيقة التي عرفها الأقارب وكان غافلا عنها. سمها تقول كأنها في حوار داخلي:

"رعا حزئت عليه أكثر من أي شخص آخر."

المرحوم كان يعرف ما تريد زوجة أخيه، لكنه لم يظهر مرة واحدة أنه يعرف."

"كان يبتعد عن نارها."

"طول ما هو حائش كان عندها أمل."

"كما مات، واح الأمل، فخلصت منك ما لم تأخله منه." ضحك مهاب وقال مازحا:

"أنت تعرفين سر القلوب يا حمتي."

قالت باممة:

"نصبي كلهم أودموني أسرارهم."

أدار السيارة واستمر يقودها في الشوارع، بلا هدف، مندهشا من الكيفية التي تتج الحوادث الصغيرة الحفية آثارا لا يمكن حسابها. كيف يمكن لأمور ليست أساسية في الصراع أن تشكل الصراع؟ تلك المعلومة الصغيرة التي عرفها من قريبته هي المبرر القبول لتلك الكراهية. حل الفهم محل الحيرة، لكنه ترك حيرة أكبر. كان واضحا أن زوجة عمه لا تريد الثروة؛ فقد رفضت كل الاقتراحات التي قدمها الأقارب بالمشاركة في المشاريع أو بأخذ نصيب من الثروة حسب تقدير كبار العائلة، وظلت مصرة على الصراع حتى نهاية الشوط. وقتها كان "مهاب" يتمجب من تلك الكراهية الحام، من الرفية الحام في الإيذاء.

فكر في "رع" وفي زوجة عمه، وخاف من أفكاره. هناك رغبة سرية في الإيذاء تحت تصرفات عادية. قال لنفسه: الحب شيطان يمكن أن يدمر مثلما يبغي.

تذكر المسرحية التي نفذتها زوجة همه في آخر جلسات الهكمة. وقفت أمام القاضي بشعرها المنكوش ترتدي جيب طويلا واسعا، يتزل، فترفعه أمام الناس وتضيق الكَمر بدبوس إبرة. حكت للقاضي عن مظالم خيالية، عن ليال نامت فيها دون عشاء، وابنها الصغير الذي لا تعرف كيف تربه. كانت تتكلم بصدق وحرارة كأنها تقول حقائق مع

أن كل حديثها أكاذيب. انتزعت منه ثلاثة عملات في وسط المبلد وقطعة أرض فضاء على أطراف المدينة تساوي ملايين الآن.

قضى ليلته في الصيدلية شاردا. تطارده فكرة الإيذاء التي تكمن في الحب. يقوم لكي يقرأ الروشنات وبحسب أنمان الدواء ويعود لبدخن وينظر إلى شاشة التليفزيون شاردا لا ينابع غير أطياف شاحبة تختلط بأفكاره.

فكر أن يفلق الصيدلية ويلهب ليسهر مع شريف الشايب. لكن رهبته جافة، تمر كأنها تنزلق على بلاط نامم، لا تنزل أثرا. حسه بالفدر يجفف منابع رهبته. بحاول أن يفهم من أين جاءت الطمنة؟ يشعر بأن "رع" وجهت إليه نفس الطمنة التي وجهها إليه ضياح المبرات. تصيبه رجفة كأنه يمشي على أرض تميد، صوف يتوارى في بطنها في أي لحظة.

في منتصف الليل أغلق الصيطبة، دون أن بجاول الاتصال برم، وظل يقود السيارة في شوارع المدينة الحالجة حتى الفجر.

000

قامت من النوم، شاردة.

"نكد الحمعة"

قالت "رم" وهي تربط شعرها بمنديل وتمسك المنفضة، وتبدأ في ترويق الشقة. خففت "منى" جو التوتو صناما أصرت أن تكنس الصالة. جهزت الإفطار، وقالت بشكل عابر وهي ترفع الأطباق بأنها تريد أن تقضي اليوم عند أمها. مشتملة طول الليل في الفراش، في ظنه لا بد أن تصحو مثائبة وتلتصق ببيتها. غطئ عندما فسر الوجوم الذي جهزت به الإفطار على أنه إفاقة الجسد من شهوات الليل وصعوبة اندماجه في الحياة العادية. حملها صمته على الصمت. بعد قليل سمع صوتها من المطبخ:

"أريد أن أخير جو."

كنا في اسكندرية من فترة قصيرة."

جاءت وجلست على ساقيه وهو ما زال في مكانه أمام ترابيزة السفرة:

الو لي خاطر عندك."

أخذت حماما ، وتجهزت للخروج.

يجلس في الصالة يستمد لصلاة الجمعة يدخن بشرود. "مَى" تجمع شرائط هراه. جاءت "رع" وجلست بجواره وضفرت شعر البنت، في صعت وتوتر. شعر بها تتنفس بصوت مسموع. ترك جرنال الجمعة على المنضلة وقام إلى الحمام.

> قالت إنها سوف تأخذ تاكسي من أمام البيت. قالت منر:

> > تعالى خلنا بالليل يا بابا." أشار لها متسما.

بدخن ويقرأ الجرنال ولا يفهم شيئا.

يفكر: بعد ليلة صاخبة من الحب. مالها؟ لماذا هذا الانطفاء المفاجئ؟ قام لصلاة الجممة وعاد إلى خلاء البيت. يفكر باستفراب في اليوم الذي تخرب بدون سبب.

هذا الصباح بداية الانتباه. استيقظ حسه بالعلامات تنبه أن هناك شيئا متغيرا. في الأيام التالية راح براقب شرودها وزهقها. يتأكد يوما بعد يوم: ريم ليست في حالتها العادية وأنه مخطئ هندما ركن إلى أنها ما دامت لم تنغير معه في الفراش، فإن أحوالها عادية؛ مجرد وجوم وتبدل في الحالة المزاجية سوف تعبره. مخطئ. بدأ يتشكك في فهمه لتصرفاتها. أكدت الأيام التالية حدسه. فائمة الوجه تدود طول الوقت حول نفسها حتى بدأت مرحلة تحطيم الأطباق. في البداية انفعل وتعصب حليها، بعدما كسرت هددا كبيرا من الأطباق. توك البيت ونزل إلى الصيدلية في غير وقت العمل. ذات يوم احتضنها في المطبخ وسط شظايا الأطباق. قالت وهي تبكي: "لا أستطيع أن أهيش من فيرك." غير أنه لم يفهم ماذا يعني ذلك.

نزل معها في المساء ليشتري لها طاقم أطباق آخر.

كسر الأطباق والأكواب أصبح معتادا. لا يمر أسبوع حتى يبدأ الطاقم في العد التنازلي. حالة تحطيم الأطباق والأكواب تؤكد له صدق حدسه.

في النهاية قال:

"لن أشتري أطباقا مرة أخرى، حتى لو لم يبق في البيت طبق واحد."

...

يعود "مهاب" في منتصف الليل، يجد ترابيزة السفرة طلبها أطباق العشاء، وبقايا الطمام، وحرائس منى وتُعاها في كل مكان، والملابس في الحمام تكومت منذ الصباح ولم تتمكن ريم من أن تأخذ قرار الغسيل، حتى طعام العشاء الذي يتناوله واقفا في المطبخ وهو يعد لنفسه كوبا من الشاي، بدأت تنساه. أصبحت الفوضى موثرة. صعدت حيرته من تبدل أحوالها إلى حافة وعيه.

ذات ليلة شعر أن البيت ضبق، وأنه لا يجد مكانا يجلس فيه. توجه إلى غرفة النوم ليوقظها، ويجبرها على تنظيف البيت في منتصف الليل. وجدها تنام ببراءة وفي حضنها منى في الغرفة الصغيرة، والشباك مفتوح. أغلق الشباك وخطاهما وذهب إلى فرفته لينام. في الصباح أصر أن تنظف البيت. طلبت أن يجهلها اليوم لأنها مصدحة. خرج إلى مشاويره وحاد. وجدها تجلس أمام التليغزيون. أصر أن تنظف البيت حالا.

حدثت الخناقة المعتادة التي تنتهي بالعصبية وأحبانا بالضرب، ثم البكاء، وأخيرا الصلح في الفراش.

ذات يوم كانت في المطبخ تجهز له الطعام قبل أن ينزل مناوبته في الصيدلية. جلس في العمالة يلعب مع مني، شم راتحة دخان، أدرك أنها دخلت الحمام وسهت عن الطعام. ترك ما بحدث بجدث، راتحة الدخان تعبئ الشقة. "مني بدأت تسعل. جرت إلى باب الحمام وطرقته:

"ماما الأكل انحرق."

في ذلك اليوم أمسكها من ذراهيها ثم رفعها عن

الأرض. كاد أن يلقي جا من نافلة الطبخ. بكت بحرارة، عاجزة أن تعرف ما جرى لها.

أصبح تبلل حالاتها أكثر حلة. في نفس اليوم تنفير أحوالها عدة مرات. تكون في حالة نكد في الصباح. يعود في الليل، يجد البيت نظيفا وكل شيء جاهز. في أيام أخرى تبدأ اليوم مشرقة ويعود فيجدها محددة على كنبة الصالة تشاهد التلبغزيون والبيت في حالة فوضى. تغير أحوالها أصبح مدوحًا، حتى أنه لم يصدق نفسه ذات ليلة، هاد من الحارج فوجدها وقد أعدت له حشاء على ضوء الشموح.

بمرور الأيام ازداد ميلها للكآبة. راحت تستغل أي فرصة للمراك، مستعدة دائما أن تلم هدومها وترحل إلى بيت أمها، لولا أحداث صغيرة مثل بكاء منى أو جرس اللباب، أو سؤال جارتها عنها. أي حدث بسيط يعوق المفكرة بل يبددها وتنتقل إلى حال آخر، كأنها نسبت ما كانت تنوي القيام به. الغريب أن كل ذلك لم يؤثر على حيويتها في السرير، بل بدا له أحيانا أنها تنظره، وأنها نشتمل بشهوة هميقة مثل الأيام الأولى للزواج.

...

ارتدى بدلة كاملة لكي يقابل مسؤولا كبيرا في إحدى ٥

شركات الأدوية. قبل أن يغادر البيت دخل فرفة النوم. وقف أمام السرير. "رع" نائمة. شعرها منثور حول وجهها. ترقد على بطنها وتمد ذراعيها تحت المخدة. رقبتها طويلة، ناعمة مثل رمل انحسر عنه الموج. وجهها بالجاهه. حاجبان ثقيلان مستويان وجبهة ضيقة ينبع منها الشعر الأسود الكثيف. الأنف مستقيم حاد، والشفاء غليظة منفرجة قليلا. التنفس منتظم. غارقة في سابع نومة غير مدركة لوجوده. لمس طرف ذراعها. فتحت عينها مندهشة.

تحلق في وجهه بنظرة غربية، كأنما تسأل: "من هذا الرجل؟"

الاستغراب الذي نظرت به إليه، آنية من غيابات النوم، مقبض. حشر سنوات غريب عنها؟ فقد في تلك اللحظة أي أمل. وقف حائرا وهي تنظر إليه، ثوان حتى تمرفت عليه وميزت صوته الحفيض الناقم:

"اصحي"

وبصوت أكثر ارتفاعا:

"قومي."

فهمي سيرسل دواء الكحة مع صبي الصيطية. كل تلك السنين لم يتمكن من أن يسكن أهماقها ويشكل حسا داخلها. عندما يعيش المرء مع شخص آخر عشر سنوات، يوما بعد يوم، لا بد أن يألفه كما يألف نفسه. لا بجناج فترة ليتعرف على ملامحه. تصبح طريقته في الوجود محفوظة: طرق الباب، ودخول الحمام وهادات النوم والطعام.

ما زال خريبا عن ريم.

جسدت تلك اللحظة الغربة التي تمنى أن يبدها أثناء قراءة الفنجان. فعل كل شيء من أجل تبديدها. مضى إلى الصالة. راجع الأوراق ودسها في حقيبته. نزل من البيت مدكا أنه قد فشل. يجب أن يوجه إلى نفسه الأمر الحاسم: "صح"، وليس إلى زوجته. هي بعيدة وستظل بعيدة. في النوم تنوه في عالم لا يعرفه. إن كان يصف تفكيرها بأنه مضطرب، فتفكيره أيضا مضطرب. كيف يتخيل إنسان أنه يمكن أن يرافق زوجته في رحلة نومها، ويزور العوالم التي يمكن أن يرافق زوجته في رحلة نومها، ويزور العوالم التي تزورها؟

قراءة الفنجان حيلة فاشلة للتجول في أحلامها.

400

رجعت خالتها من الكويت في الصيف طلبت "رع"

أن نتزل في الليل، لنبيت مع أخنيها هند خالتها. هذا الوصول الصاخب بدا كأنه حل من متاعبها وكأبتها، وإحساسها بأن الدنيا أخلقت الأبواب في وجهها، ومنع "مهاب" بعض الأمل. رعا تتغير أحوالها وتعود إلى ما كانت عليه. أراد أن يستربع قليلا من الحس الداكن.

لم تمد إلى البيت في اليوم التالي. اتصلت "رباب" واستأذنته أن تبقى ريم يوما آخر. "نفك حن نفسها." سألما مهاب إن كانت تعرف ما يجدث الأختها. قالت بيساطة: "كل متاهيها سببها البعد عن الله."

"البعد عن الله؟"

كرر الجملة وراءها ببطء، كأنه يكتشف أمرا غاب عن تفكيره.

أكملت رباب: "إن اقتربت من الله، سيفك ضيقها."

لم ير ريم تصلي قط. هو من يفعل ذلك. يصلي الصبح بانتظام، ويواظب على صلاة الجمعة. قالت رباب:

"لا تقلق هي متعبة قليلا."

"رباب" الأخت الوسطى في حلقة البنات الثلاث متزوجة من رجل يعيش من تأليف الكتب الدينية الصغيرة يسكن في بيت من ثلاثة طوابق. بني خرفتين ودورة مياه فوق السطح وخصصهما للدراسة وتأليف الكتب. يجمع الأحاديث النبوية عن موضوع معين: الطهارة، النجاسة، الحيض، زيارة القبور، وفيرها، وينشرها في كتيبات صغيرة يوزعها الباعة في الأماكن كثيفة التجمع، أو يتسول بها البعض؛ يلقونها في حجر ركاب أتوبسات القاهرة والإسكندرية. يعيش في الأعلى وزوجته في الطابق الثالث وأمه وأخوته في الطابق الثاني، والطابق الأول جهزه وأجره علات.

#### ...

بعد يومين عادت "رم" من بيت خالتها متعبة. ظلت تبكي ساحة كاملة. لحظة اضطراب أخرى. ينظر إلى جسدها يمل نجاه سطح الكنبة. تضم رأسها بلراحيها وشعرها منثور حولها. البلوز النبيتي يكشف جزءا من ظهرها الناحم اللامع تحت الضوء الشاحب للصالة. انتبه إلى نفسه عندما سمع "منى" تبكي في هرفتها. توجه إليها بسرحة وحملها. وقف في الشرفة، يراقب معها عدد الأضواء الحمراء التي سوف تبرق في خلفية السيارات المارة.

خاب ظنه. وصول خالتها الصاخب بدا كأنه ساهم

في ترسيخ الكأبة. كفت عن البكاء. نزل مع منى، ليشتري لها حلوى من الكشك المواجه للبيت. عاد وجد "رم" قد نامت.

...

يغلق الصيدلية. المشارع ساكن. المسماء بعيدة صافية. المنجوم متنائزة بلا نهاية. أشخرج الموبايل وطلب رج. رئين

## ...

اتصل برنا الأخت الكبرى. حرف أن الشيخ "عصام" زوج "رباب"، خطب فيهم خطبة طويلة عن المقاب الذي ينتظر المابئين واللاهين وتاركي الصلاة. لم تستطع "رم" منذ تلك اللحظة أن تتمالك نفسها. انفتحت حنفيات اللموع فجأة.

قالت رنا:

"بجب أن تأخذ بالك. زوجتك لبست في حالة طبيعية."

في الليل زار "رنا" ليعرف بالضبط تفاصيل ما حدث في بيت خالتها.

نالت:

"رَّمَ نَفْسَهَا لَا تَمَرُفَ مَا يُحِدِثُ لِمَّاءَ أَنْتَ مِنْ يُجِبِ أَنْ يَمِنْ."

قال بجدية:

"أختك لا ينقصها شيء، وإن كنت تفكرين في علاقتنا، كل شيء تمام، اسألبها؟"

ابتسمت وطلبت منه أن يصبر قليلا.

قال مهاب بحيرة:

"لا أعرف ماذا أفعل."

...

صحت "ريم" من النوم، واستفرقت في تنظيف البيت كأنما لم يحدث شيء. أصبحت أفضل حالا في الأيام التالية. وافقت أن يقرأ لها الفنجان والتصقت به، كأنها نسبت نوية البكاء. قضت الصيف تقريبا في بيت خالتها. كل هدة أيام تطلب أن يسمع لها أن تبيت هند خالتها، فيسمع لها حاترا مما بحدث، لكنها أثارت دهشته هندما أخبرته بأنها سوف تلبس هباءات سوداء.

سألها:

"لن تلبسي بتطلونات بعد الآن؟"

قالت:

"لا طبعا، سأرتدي العباءة فوق لبسي العادي." .

ايتسم.

نظرت إليه في حيرة.

...

رم تحب المنتجات الحديثة. كل منتج جديد يمارس جاذبية شديدة عليها. لا بد أن تتذوق طعمه، وتميز بينه وبين غيره. تحب كل أنواع الشيكولاتة، والحلوى، والمكسرات، وكل المنتجات ذات الأغلفة اللامعة. المكان المفضل لها هو السوير ماركت. هناك يظهر في عينيها البريق الناري الذي يومض في لحظات الشهوة، وتشعر بأنها كيان له إرادة. تنظر بدهشة إلى التنوع اللابائي للسلع. نقود الدنيا لا تكفي لتلية طلبانها. لو غيرت لحملته معها إلى البيت. السوير ماركت مدوخ، مبهج ومحزن، تحب صخبه وتنفق فيه وقتا طويلا.

علات اللهب لها نوع آخر من الجاذبية. هناك يسيطر طيها إيقاع بطيء وشفف، كأنها تقترب من شيء مقدس. حركاتها تصبح رقيقة. تمد يدها وتلمس المشغولات برفق كأنها يمكن أن تنكسر. انفعالها في علات الملابس ليس له هذا الصخب ولا تلك القدسية. تبدو هناك حازمة تعرف ما تريد. تصبح أكثر قسوة، وانتقادا للسوقية: لكل جسم مقاسه، ولونه وطبيعته، ونوع الملابس الذي تناسبه. لكل امرأة مجموعة من الألوان تظهر جمالها.

أمام محل العباءات وقف بجانب السيارة يدخن. سوف تنجه إلى الله وتتوب، وتصلي وتحجب نفسها. يشعر بشيء مثير مقلق. في العادة بترك هذه الأمور تمر. يعرف أن الطبيعة تحكم. بعد شهور سوف تزهق وتحن إلى الرقص، إلى أن ترى الإعجاب بجسدها في المرايا وفي الأهين. خرجت من المل متوهجة، تحمل حقيبة مليئة بالعباءات، هيناها تشعان بالإثارة والترقب.

أول يوم ارتدت العباءة السوداء بدت غربية، كأنها كائن أخر. لاحظ سطوة الأسود. الحواجب الكثيفة، وكحل الرموش، والروج الغامق منح الشفتين حلة وشهوانية. رعا وجدت طبيعتها في اللون الأسود الموشى بأهر خفي. بدت عفية وشهوانية. هب من مكانه وحملها إلى الفراش. انتبهت وحاولت التملص منه. يعرف أنها أضعف ما تكون في تلك اللحظات.

> قالت: "ومشوارنا؟" "لا يهم."

في ظلمات غرفة يطوف بها ضوء منتصف النهار، غمرته حيويتها. مستغرقة مفتوحة الوجدان. متخلصة مما يشوش حيانها، ومما يقلقها، خالصة لمنعنها، كأنما تمارس نوعا خاصا وشخصيا من الرقص. صوت تنفسها المتلاحق إيقاع حيوية جسدها. صوتها الهامس يجرك أعماق جسله. يمحو ما أصاب لقاءهما في الفراش من اعتياد. يعيد فتنة أيام الزواج الأولى.

بسبب هذه الشهوة الفاجئة ، تسامح مع تغير ملابسها وانتقالها من لبس البنطلونات والبلوزات الحبوكة على الجسد إلى العبادات السوداء والخمار الذي يفطى الصدر

في الليل أخلق الصيدلية. المشارع ساكن.

سيارات فائمة أمام البيوت.

الضوء عند ناصبة الشارع، برتقالي، يمنع الشارع صبغة خيالية.

> أخرج المويايل وطلب ريم رنين

## \*\*\*

سافرت خالتها في نهاية الصيف. ظن "مهاب" أن الأمر انتهى، وزالت الثمة. لكن حالة ربم لم تتغير، بل زادت عبوسا كأن خالتها أخذت معها مرح الحياة. أثناء وجودها كانت "رم" تصفو قليلا ويقرأ لها الفنجان ويتبادلان المزاح والحب. تغير الأمر وأصبحت تصر كل خميس أن تزور أختها "رباب" ويوم الأحد نزور أمها.

يوم الحميس تأخرت في بيت أختها رباب. مر هليها في الثانية عشرة. رفض طلبها أن يصعد ليجلس قلبلا مع الشيخ "عصام". قابله علة مرات في المناسبات العائلية، وكون مشاعر حداثية تجاه، وأقنع نفسه بأنه نصاب، وسخر من تأليفه للكتب والتربع من اللين. تراكم بينهما

حس بارد لم يرغب "مهاب" أن يليبه.

نزلت ريم من بيت أختها صامتة شاهرة بالنعب. قالت إنها مريضة وخائفة. جسدها مكسر. وصارحته في البوم المثالي بان الله سيماقبها على لهوها وتسيبها، لا بد أن عقابا ينتظرها، ثم أخبرته أخبرا أنها خائفة من الموت.

الخوف من الموت أمر جديد. لاحظ مهاب، كيف تصحو أحبانا في الليل تترك الفراش وتتحرك بلا هدف في الشقة. يعرف أن الأعراض المرضية أوهام، فيقول ببساطة: "نحجز عند الدكتور رفعت." لكنها تطلب تأجيل زيارة الطبيب بعض الوقت حتى تتأكد من المرض.

الأوهام المرضبة لا بد أن تُترك لتبدد وحدها. إن لنخل، إما أن يجولها إلى مرض حقيقي، أو ادعاء بأنه غير مهتم بها. في الأيام التالية ظهر الكثير من أمراضها، وكلها تصب في الحوف على جسدها. انظرا! هناك بقعة كالحة على اللدي الأيسر. دقق هناك منطقة متورمة تحت الإبط. يومئ مهاب برأسه: "لا بد أن تستشير طبيب أمراض جللية." يُظهر الجلية، لكنها تتراجع وتفضل أن تنظر حتى تتأكد من الأمر. "قدمي ينمل يمكن يكون عندي ضيق في الشعيرات الدموية."

ذات يوم أمسكت لفة من شعرها في كفها وقالت وهي تبكي:

"انظر، شعری بسقط."

كل يوم يظهر الخوف على جسلها في شكل آخر. إن نسبت موضوع بقعة الصدر، يظهر وجع المفاصل وإن نسبت تساقط الشعر، تظهر زخللة في العين ودوخة. مخاوف فامضة تطاردها.

> أدرك مهاب أن الأمر يزيد عن حده. لا بد من كسر الدائرة.

دخل البيت في الليل. نور الصالة مضاه. ولعب مني منتائرة على السجادة أمام التليغزيون. أدرك أن "رع" ستخرب حياتهما. ألقى طبها نظرة في طرفة النوم. حاد إلى الصالة وفتح التليغزيون. جلس شاردا أمام صور تتحرك. هل هناك ما يمكن صمله؟ يمكن أن يأخلها ويرحل من هنا. يغادر تلك البلد أو يعمل أي شيء. لكن "فهمي" أيضا يفكر في السفر. لا بدأن هناك حلا.

#### ...

بعد صلاة الجيمة قابل "رنا" حند باب بيتها راجعة من السوق. أخيرها بأنه تعب، ولا يفهم سر ارتباط ريم المفاجئ ٨٧ بيت أختها "رباب"، وسخر من أنها أصبحت تحب الوعظ الذي يخصها به الشيخ "عصام".

ابئسمت رنا:

"لا تخف هي تبحث عن وسيلة لتخرج من همومها."

قال مهاب:

"نفسي أعرف همومها."

ضحکت رنا:

"هي نفسها لا تعرف." ثم قالت بجدية:

م قالت جدید. "نفسها مقبوضة وخائفة"

قال مهاب بغضب:

"إن كانت تحتاج إلى علاج، نذهب إلى طبيب نفساني." قالت رنا:

لم يصل الأمر إلى هذا الحد. اصبر."

حمَ تبحث ربم، ولماذا انطفأت حباتها على هلما النحو، لماذا أصبح عالمها ضبقا عليها، لماذا تريد أن تخرب ما أقامته كأنها سنعيشه إلى الأبد؟

## ...

زادت عدوانية رع. راحت تحمله مسؤولية ما حدث لها. تتهمه بأنه مهتم بالعمل أكثر من اهتمامه بالبيت وأنهم لم يسافروا مرة واحدة هذا العام، وأنه أصبح بخيلا لا ينفق على البيت مثلما كان يفعل في السنوات الأولى للزواج. كل مناقشة تتحول إلى رغبة في تحطيم شيء، ثم بكاه.

في فترات قصيرة من السكينة، تجلس بجانبه. تحاول استعادة أسسيات تناول القهوة وقراءة الفنجان، كأن التعب قد فارقها. تشرد قليلا، وتنظر إلى وجه مهاب وتقول إنها نحبه لكنها لا تعرف ماذا أصابها.

لحظات نادرة تتلاشى بسرعة، ويعود مرة أخرى الهممت والجهامة والهستريا، حتى جاء اليوم الأخير، وطلبت أن تتزل لزيارة أختها لكنه أراد أن يضع حدا لهذا الدوران في نفس المكان. أصر ألا تنزل من البيت، وهدها بالطلاق. عاد في الليل ولم يجدها. أدرك أن العلامات التي كانت تحوم حوله قد تحققت، وأنه الآن في قلب اللحظة التي خاف أن يواجهها طويلا.

...

في الليل يغلق الصيدلية. المشارع ساكن. طلب ريم. دنين

اتصلت حاته:

"ماذا ستفعل؟"

"ريم ترجع إلى البيت من نفسها." "تقول إنها لم تعد تجوز لك."

"ترجع البيث من نفسها."

"سألت المشايخ وأصبح الطلاق واقعا."

"خلاص تستى طلبها في بيت الطاحة." وقبل أن يغلق الخط قال:

"يا حماتي بيت الطاعة غرفة الكراكيب فوق السطوح في بيت أمي."

> في المساء اتصلت مرة أخرى، وقالت: "تعال نتكلم."

> > ...

في ظلمة الطريق، يقود السبارة إلى كفر الزيات، غير عابئ بصوت الشكمان للرتفع. "فهمي" يريد أن يزور عمه، ويستلم منه أوراقا أرسلها له "مينا" من أمريكا. سيرة أمريكا تقيم بينهما صعتا متربصا.

قال فهمى:

"السبارة هلكت تحتاج صبانة."

أسوف أتركها يوم الجمعة عند الأسطى محمود

يفحصها ويعمل اللازم." "يوم الجمعة ستجدها قد تفسخت."

قال مهاب بصوت خفيض: - قال مهاب بصوت خفيض:

"ماذا تنوى؟"

قال فهمي:

"بصراحة متردد."

واصل الكلام:

"أنت ترى!! البلد خير مضمونة؟" قال مهاب:

"الدكتور نبيل ملاك يرعب الأسرة بحكاياته عن نهاية العالم، واضطراب الأحوال وهجوم العشوائيات على المدن."

# ضحك فهمى:

"الدكتور نبيل يننبأ بالغيب لكنه يعرف أنني لا أومن بنبونه." "لكنك تأثرت سها."

قال فهمی:

"لا، لا، تعت."

ألقى مهاب السيجارة من النافلة وأفلق زجاج السيارة كي بججب قليلا صوت الشكمان ويسمع صاحبه:

"أشعر أنني لا أعيش. شريف الشايب عنله حق. كأن

الواحد في حلم."

صمت قليلا:

"لا تنسَ أنني أقترب من الأربعين ولا شيء هنا."

"هناك سوفٌ تجد بنات قشطة وسوف تتزوج." "يمكن."

مْ قال بجلية:

"الحياة فترة بسيطة علينا اجتيازها، لا يجب أن يثقل المرء قلمه بأكياس رمل. عليه أن يعيش كأنه يعبر شارها."

قال مهاب:

"تبرر لنفسك الهجرة؟"

قال فهمي:

"أحاول أن أقول لك أنك تقتل نفسك من أجل لاشيء." صوت الشكمان ما زال يزأر، ويشوش حديثهما.

"لا شيء يستحق ما أنت فيه. امرأة؟ هناك العشرات." قال مهاب:

"لأنك حافظت على نفسك بعيدا."

"يا عم الموضوع زاوية للنظر، أنت تنظر للأمر كما كان أبوك ينظر إليه."

قال مهاب:

أب كان أشجع مني. تزوج مرتين. عرفت بالصدفة

أمي تخمن لكنها لم تعرف." قال فهمي:

"خلاص إن كان الأمر ميراثا عائليا خفف عن نفسك ونزوج، وانرك الموضوع يحله الزمن."

ضحك مهاب وقال:

"نفسي أشوفك وفي يلك الكلابشات."

هبر مزلقان سكة حديد، وانطلقت السيارة في شارع مقسوم نصفين بكتل من حجارة مدهونة بالأبيض والأسود. على البمين ميان بأسوار عالية، مصانع كيماويات، قديمة، طراز أيام الإنجليز، وأعمدة النور متناثرة ضوؤها يجمل الشارع كثيبا. أوقف موتور السيارة ليستريح من صوت الشكمان. نزل ووقف تحت شجرة بونسيانا ناشفة أمام هازن كبيرة لها بوابة حديد. المني قديم كأنه وكالة من الوكالات المذيمة، بقايا المناء الذي كانته المدينة في يوم من الأيام.

لوّح فهمي: "لن أتأخر."

تابعه مهاب، يعبر إلى الجهة الأخرى من الشارع، ويدخل بيتا قديما له يوابة صغيرة، وسور متهالك.

في طريق العودة حل الصمت المتربص لسيرة أمريكا.

قال فهمي بجلية:

"حتى لا أترك مجالا لأي تخمين، بالنسبة للصيدليات ستظل كما هي لو ثم السفر. نصبي سوف توصله إلى أمي. زوج اختي يمكن أن يساعدك وهو أمر يتوقف عليك."

ابتسم مهاب:

"يا بخنك يا فهمي، تأخذ كل حاجة ببساطة." "بحق؟"

دفعه بقبضته في كتفه:

"بختي صنعته، حاولت أعلمك، لكنك تلميذ فاشل." قال مهاب:

"حب النساء مرض عائلي."

\*\*

أجساد النساء ناهمة مثل رمل مغمور بالبلل والنور غيُّل النعومة يؤلمه ألما جسديا. يرتبك كلما دخلت امرأة الصيدلية. كل امرأة تجردت من كل شيء غير نعومة جسدها. يشعر بلمحة من المرض في تلك الأخيلة. يجرد من يراهن، ليس من ملابسهن فحسب، بل من كونهن أخوات وهمات وخالات وبنات أخ وبنات أخت وأمهات، وغيرها من العلاقات. يجردهن من الصلات التي تشكل

التنويعات اللانهائية للأنثى.

ف ذروة حرمانه، لم يعد يرى غير الجسد الناعم. يحاول أن يبرر تلك الأحيلة بأنه يريد أن يصل إلى الجوهر الخالى من الصفات، أهم وأول ما يشكل جوهر الأنوثة، لكنه في النهاية يعود إلى نقطة البدء، ويدرك أن ذلك هو أعراض هجر "رع". إدراكه الخفي لذلك أقام عداوة بينه وبين نفسه. حسه بالغضب بخار يلف أخيلته. شروده أصبح متوترا. يدخن بسرعة ويلقى بالسيجارة قبلما تصل إلى منتصفها، ويشمل أخرى. يشمر أحيانا بأنه قد مُسخ إلى شخص آخر، وتساءل كثيرا أين "مهاب" الذي يتصرف بحزم. دوَّخه تعلقه برع. ذات يوم قال لنفسه: "رع أمر لا بد أن ينتهى. إما الوصل أو القطع." عليه أن يتحرر من هذا التعلق حتى لو أدى الأمر أن يتزوج بفتاة على طريقة "شريف الشايب".

...

صباح شتوي. الضوء خافت في شارع علي مبارك. قاد مبارته ببطء. يشعر بالوجل، ونوع من الشرود وإحساس بالضياع. نومه أرق. لا يصدق ما اتفق عليه مع شريف مساء أمس. رغم كل علاقاته ومغامراته لم يجرب مرة واحدة علاقات السوق كما يسميها شريف الشايب.

ركن السيارة أمام البيت. فكر أن ينسى كل شيء ويستمتع بالتجربة. سبحاول أن يجعلها مثيرة، ولها طعم آخر. نوع من النفير. صعد السلالم يفكر في البنت وفي شكلها. دخل الشفة. شرفة غرفة الجلوس مشيشة وضوء النهار بتسلل إلى الصالة. رأى البنت. ترتدي جيب رصاصيا وتجلس واضعة ساقا فوق الأخرى. ملاعها غليظة. شعرها ناهم وقد خلعت الحجاب وألقته على كنبة الصالون.

قال "شريف":

"اتبعني "

في طرقة الحمام أعطاه التعليمات: "البنت بكر، لا تحب العنف، وخبرتها عميقة، تستخدم كل تجويف في جسدها كبديل، كأنه عضو الأنوئة. تعرف كيف تمتك. تأخذ الفلوس مقدما. أعطيتها ونتحاسب بعدين." ثم دفعه إلى الغرفة، وجرى إلى المطبخ، فقد سمع فوران القهوة.

تثبت مهاب في مكانه:

'لا أحب الأماكن البديلة." جاء صوت شريف من المطبخ:

'أنت طلبت بنت بنوت."

جلس مهاب في مواجهة الفتاة. سألما عن اسمها،

فردت بعدوانية: "هنخطبني؟"

قال متوثرا:

"با فناح با عليم."

"اسمى نسمة، ارتحت؟"

حاول أن يغوي نفسه، بعد أن شعر بأن رغبته تتجمد. يمكن أن تكون العدوانية طريقا إلى الشهوة:

"أخذت فلوسك؟

"أخذت."

"طيب قومي "

قادها إلى غرفة النوم. أمرها أن نخلع ملابسها كلها. أطاعت باحترافية وهي تبتسم ابتسامة شاردة. يجلس على طرف السرير. جسلها عادى. أجلسها بجواره عارية.

"سوف أعطيك أجرا إضافيا إن قلت لي ما الذي دفعك إلى هذا الطريق."

ضحکت:

هو انت بتاع كلام؟"

نظر إليها بغضب، ثم وقف. خلع بنطلونه وملابسه الداخلية، وشمر بالفخر وهو يظهر ذكورته. نظرت إليه بجدية كأنه مجنون. بدت خاتفة قليلا. حرك الشعور بالفخر والنظرة الخائفة قدرا من الإثارة. جلل الصمت اللحظة فحضرت الشهوة.

أسلمت نفسها، لكنه شعر بيقظتها وتحفظها، ورغم عاولتها إظهار البراعة في الحركة، فإن الحاجز الذي أقامته بيقظتها استفزه، وشعر بلحظة الذروة بعيدة وانتصابه قويا. لم تسمح له أن يدخلها، كلما حاول، تُضيَق بين ساقيها وتقبض بطنها. أثارت حركات هروبها رغبته في اقتحامها، من التهور والرغبة في الإيذاء. لحظة خاطفة شعر ببلل من التهور والرغبة في الإيذاء. لحظة خاطفة شعر ببلل الفرج، وبرغبتها تتحرك، أدرك أنه تمكن منها. على ساقه، لكنها قبضت بطنها ودفعته بقوة من فوقها، حاول أن يكرر الحاولة، لكنها صرخت فتركها، ورقد على طاهره، يحدق في السقف.

دخل شريف:

"فضيحتي بجلاجل."

'صاحبك مريض، خذ فلوسك."

ضحك شريف وقال:

'لا رجوع في الاتفاق."

قالت:

"هو من يرجع في الاتفاق." وعدها مهاب أن بجافظ عليها، وانتهى الأمر بمرح.

في النهاية سألته إن أراد أن يعمل مرة ثانية، يمكن أن نجيء إليه في شفته. قال: "ظروفي ملخبطة، سأتصل بك." لكنه لم يتصل، فقد خاف من نفسه، وظل طول الأسبوع يفكر لم أراد أن يضيع البنت، بدون سبب، وأحس بنفسه مريضا كما قالت.

# ...

دخل مهاب بیت حماته.

يجلس أخوها في صدر الغرفة إلى جانبه الشيخ "عصام". التقطت حواسه الداخلية الأجواء المتربصة. تحركت نقمته، فلم يتنظر حتى تعد حماته الشاي، وبدأ الحوار سائلا عن من أفتى بأن تهديده لزوجته، يعد طلقة ثالثة؟ حاول الشيخ عصام أن يمازحه، لكن "مهاب" سأله بعداء عن رأيه الشرعي. قال الشيخ بأن الطلاق وقع، حتى بعداء عن رأيه الشرعي. قال الشيخ بأن الطلاق وقع، حتى عقوبة القتل في حالة الغضب وغيره. قال مهاب ساخرا لكن هناك من المشابغ من يرى أن النية شرط أساسي لوقوع الطلاق، ولا يستطيع أحد أن يحدد نيتي غيري. أنا

من يقول إن الطلاق قد وقع أم لا.

اشتبك مع الشيخ "عصام" في حديث عن موضوع "اغلل" وسأله إن كان يقبل هذا على نفسه. أصر الشيخ أن "رع" لم تعد تجوز له إلا بعد أن تنكح زوجا غيره. قال "مهاب" إن المقصود بما في الآية، الحباة الطبيعية وليس صناعة المحلل التي يتاجر بها المشابخ. اكفهر الجو، وتدخل خال "رم" قائلا:

"الأمر يخص الرغبة في العشرة." قال مهاب منفعلا:

'الأمر بخص النبة، يا حاج كمال، القصد هو ما يُوقع الطلاق."

صمت الجميع إلا أن توتر مهاب استمر بغير سيطرة:

إن كنا هنا من أجل حسم موضوع الطلاق فيجب أن

نستشير قاضيا شرعيا ليس من 'بتوههم." وانفعل بشدة

قائلا: "من قال لكم إن خلافاتنا في المرات السابقة تحسب

طلقات. الطلاق حدث مرة واحدة. عندما كسرت لها ذراعها

وطلبت الطلاق، ولأنني كنت غطنا طلقتها بناء على

رغبتها، ورددتها خلال العدة، هذه هي الطلقة الوحيدة." تم

انزاح حتى جلس على طرف الكرسي ووجه كلامه للشيخ

عصام: "والأهم يا شيخنا أن "رع" عندما أخبرتها ألا تترك

البيت كانت حائضًا. لا يقع الطلاق على حائض. صح يا عم الشيخ، ثم قبل كل هذا وبعده أين زوجتي؟"

> نوجه بغضب إلى حماته: "أبن زوجتي يا حمان؟"

مند أختها.

قال بانقعال:

'أختها.. أختها.. أين بنتي؟ أريد أن أرى بنتي."

نظر إلى حماته وهو يقف ويلم مفاتيحه وسجائره من فوق المنضدة الصفيرة:

"سأمر في أي وقت وإن لم أجدها سوف أبلغ البوليس أنها هربت وخطفت البنت.."

#### \*\*\*

البرد شديد بجعل الهواء مرتبا، كأنه ورق شفاف. ما إن نزل من السيارة، ليشتري سجائر من كشك في شارع البحر، حتى أحس بأنه يمشي في سائل شفاف. كل شيء شفاف وباهت. حس خافت بالحياة كأنه بمشي في حلم أضواء أعمدة الإنارة تشر غلالة من الضوء والظلال في نسيج يترك إحساسا بأنها عكارة ضوء.

فتح باب الشقة. لا أحد هنا. جلس على مقعد بجوار

الباب وأخذ نخلع حذاء، ويراجع نفسه رمما يكون قد أعطأ ربما يشعر بأشباء غير موجودة يمكن أن يعبد الحيوية لل البيت، ويهدئ رم. يعرف مفاتيحها. يمكن أن يخدهها بوعود براقة. لا، لا، لن يتمكن من هذا. هذه لحظة فاصلة.

هناك طبف يمنعه. غلالة من الغربة قامت بينه ويبنها. عدواة خفية حطت بسبب إحساسه بالمؤامرة في موضوع الطلقة الثالثة. خطرت له فكرة غربية. هل أغوتها خالتها بأنها يمكن أن تسفّرها إلى الخليج، وتزوجها هناك، لو طُلقت؟ أبعد الخاطر عن ذهنه باعتباره غير معقول: "ريم عاشت معي أكثر من عشر سنوات، لا يمكن." هاد ليفكر في إمكاتية أن يجلس معها ويبحث بجدية ما تريد. لكنه ينفر أيضا من هذا، حس غائر بالإهانة بفذي غضبه ويدفعه إلى الحافة.

الغلالة الشفافة من الغربة تتكاثف وتصبح طبقة سميكة من النفور. "ربم" السبب في تخريب البيت والحياة. طلبها للطلاق بدفعه إلى حافة الجنون، ولا يعرف ماذا يمكنه أن يفعل، تسحبه مشاعره بعيدا عن نفسه.

تحرك في الشقة. فكر أن يخلع ملابسه لكنه عاد ليجلس مرة أخرى على المقعد بجوار الباب يتحول حنفه على ريم إلى نقمة على نفسه. يسخر من اقتناعه الطفولي بيصبرته ورؤيته لأفكار الناس. أوهام أدمن عيشها. يغذي إحساسا زائفًا بقيمته. لم يتمكن مرة واحدة من أن يكون رجلًا. يعترف بأنه كذب على نفسه، ويكذب عليها الأن.

الموضوع ببساطة: "ريم لم تعد تريد الحياة معك."

هذه الجملة البسيطة تشمل أعصابه. في فنرات سابقة، كان يزهق منها ويريدها أن تترك البيت، ويجد بوادر ميل تجاه أخريات. خيل إليه وقت ذلك أن ارتباطه بها خفيف، يمكن التخلص منه بسهولة. وهم آخر. أظهرت حقيقته الاحداث الأخبرة. يرغب في من ترغب في هجره. قبل يومين انصلت به البنت التي عاشرها في شقة شريف، تهرب منها وتعلل بانشغاله.

يرغب في من ترغب في هجره.

الهجر لا يمكن تحمله. يهز أركان تصوره عن نفسه: ثقته في ذكورته وفطنته. الهجر يقوض صورته التي اعتاد عليها وعاشها كأنها "هو". هذه "الأنا" المسماة "مهاب" التي قام وجودها وتماسكها على حب "رع" ونجاح أعماله، تهزز أركانها الآن. سؤال خبيث، يتسلل، يحدق فيه بعينين لامعتين من خلف تشوشه وغضه. يقترب ويبتعد. يلمس سطح خواطره، ويختفي:

<sup>&</sup>quot;ما الذي يتبقى من مهاب بعدما تهجره ريم؟"

"رم" هي المرآة التي رأى فيها وسامته ونجاحه، وحبها هو الذي منح القيمة للكائن الذي يسمى "مهاب". بعدما تتحطم المرآة، لن يكون له وجود، سوف تأخذ رم ذلك الشخص وترحل. لن تترك له، إن بقي فيه شيء، غير خلاه. سوف يكون "مهاب" بلا "مهاب" الذي يعرفه، بلا صورة تقريبا. استعارة المرآة أرعبته. الخلاء خلفها عماء؛ عدم. لن يتبقى منه شيء. يعني "مهاب" لاشيء غير صورة أقامها حب رع. الشعور الني بالهجر رعب محض.

لا يتمكن من البقاء في البيت. عقله يعبث به. الجنون يبتسم له بسمة مهرج يغطي وجهه بالمساحيق. ارتدى حذاءه مرة أخرى ونزل إلى الشارع. يدور بالسيارة في شوارع خالية. دورة ثانية من المحطة حتى الاستاد، دورة أخرى من كويري فاروق حتى سوق الجملة. مهاب غير موجود، مجرد سيارة تدور في شوارع خالية.

بدأت المدينة تصحو، وتنمو حركتها وتزدحم شوارعها. يدور بالسيارة غير قادر على التوقف، حتى ترددت في القضاء أناشيد الصباح المدرسية، وعزف أكورديون أنغام النشيد الوطني، ملخبطة، غير متقنة، مفمورة بوشيش مكبر الصوت. يملم أن ربم ترتدي هباءة سوداء، وتدخل همارة في الجزء الشمالي من المدينة، يكاد من قوة الفكرة أن يستيقظ ويرتدي ملابسه ويترل لبيحث عنها. أرهقه الشمور بأنها في مكان ما، على وشك الزواج وأن "مني" تنام في غرفة مفتوحة النوافذ. يدور في الشوارع دون توقف، غير قادر على السيطرة على سرعة السيارة أو إيقافها. تسير بمعدل سرعة عدد. لا يستطيع أن يعيدها إلى السرعة الأدنى، ولا الأعلى، ولا إيقافها. حسد المترجلين، ومن يتجولون في الشارع النجاري، أو يسرون بجوار سور مدرسة الصنايع.

استيقظ من النوم يشعر بضرورة أن يرى ريم اليوم. لقاؤها سوف يخلصه من هذه الحالة ويوقف الدوران الحالي من المعني.

مضى متمهلا بالسيارة، لا يرغب أن يصل بها إلى السرعة التي عاشها في حلم الليلة الماضية. يغير الحركة، ويتوقف، وهو يشعر بذلك النداء الغامض أن يرى "رم"، يتحول إلى رغبة جسدية. يدور بالسيارة في المدينة لفترة طويلة، يصل إلى المدن القرية ثم يعود كل يوم بعد انتهاء مناويته في الصيدلية يقود سيارته بلا توقف.

بحث عن التغير، متى حدث وما السبب؟

غيره عادات تفكيره في العلامات، أن هناك لمظة معينة تم فيها النغير. علامة أفلتت من ملاحظته، دون أن ينظر له أن النغير قد يكون قد حدث على مهل ومن أول أيام الزواج. ضلله حسه بالعلامات وظل مقتنما أن السنوات الأولى من الزواج كانت طيبة، وسنوات ميلاد "من" حتى وصلت إلى خس سنوات. فكر بحزن: كانت هنا حياة طيبة ضاعت. رعا تغيرت "رع" لأنها لم تعد ترى أملا في حيانها بهذا الشكل، رعا نحتاج إلى عمل، رعا نحب شخصا آخر، رعا وعدتها خالتها أن تأخذها معها إلى الكويت إن تخلصت من زوجها.

هنا توقف ذهنه عن الدوران للمرة الثانية تراوده نفس الفكرة. توقف عندها، كأنما لمح فيها تفسيرا لما حدث، وأساسا يقيم عليه تغير أحوال زوجته. بدت له معقولة، لأنها تبرر التشبث بفكرة الطلقة الثالثة. تعرف "دع" عصبيته. انتظرت أن يحلف عليها إن خرجت من البيت تكون طالقا وعندها خرجت. نجح تدبيرها.

حازت القصة رضاه، أكثر من موضوع الحب أو الملل أو أي أمر آخر. قصة وعد خالتها بالسفر إلى بلاد الخليج والزواج هناك، أكثر معقولية وتصدقها العلامات الصغيرة. اكتست الفكرة بالعاطفة، وراحت تقيم لنفسها كيانا. نترسخ بمرود الوقت، وكلما استعادها، تأكد من قوتها وتناسقها.

يضع خالتها في بؤرة القصة كأنها مُحرَكة الآلام التي يعيش فيها الآن. تأي من الكويت كل عام. تشبع الآمال في أذهان التعيسات من بنات العائلة. توهم الجميلات أنها سوف تأخذهن إلى الكويت تزوجهن واحدا من أهل البلد ننجب منه، وعندها يكون من حقها البقاء هناك بحكم نسب الطفل. سوف تقيم في تلك البلاد التي تعوم في الرخاء، وتتخلص من هموم الحياة هنا، من الحياة الضيقة البيت دائما في حالة حاجة.

هذه أنسب فكرة ترضى بها هواجسه، وتفسر ما غمض من حالات "رع". لا بد أن يكون الأمر على هذا النحو. لكن القصة تفتقر إلى ركن واحد. "رع" لا ينقصها شيء في بينها وتعش مستريحة ولا تعاني ما تعاني منه بعض بنات العائلة. تغاضت القصة عن تلك التفصيلة، وعبرت فوقها لتقدم أفضل تفسير لنغير زوجته، عندما بدأت تثير المشاكل وتكسر الفناجين والأطباق وتتحجج بأي شيء وترك البيت. أرضته القصة باكتمالها وتناسقها وعززها بالشواهد والحكايات التي سمعها هما داخل العائلة أن تلك المراة كلما عادت تثير الزوابع في البيوت.

الغريب أن هذه القصة بدلا من أن تجعل مشاعره تجاه

رم" تخفت، بعثت شوقا إليها ارتفع إلى فروته، حتى أن كل النساء كن أدوات لكي يتذكرها لا ليتخلص منها. أدرك أن حالته تتدهور كلما فكر في بنات حياته يجد انقباضا كأنه عبوس لا يمكنه الخروج محاولته لاستدعاء "سناء" أو "وداد" أو "علية"، لوضع شوقه إلى "رم" في توازن مع تجارب أخرى لم يمكن مجديا.

في لحظات الصمت، في منتصف الليل، يشتاق إليها. تلوح كأنها تملك سرا لا يقوى على فضه. تملك روحا مختلفة عن كل من عرفهن، متجددة لم يستطع أن يفهمها، أو يسيطر عليها. حلم بها عدة مرات ترقص في ضوء القمر، ملابسها الشفافة تظهر جسدها، تحت غلالة الضوء الفضي، مشما وجلابا لا يقوى على فننته. يقوم من النوم، مدركا أنه قد حبس نفسه في غرفة مظلمة ولم يترك غرجا واحدا.

...

قبل أن يغادر شقته في المساء التالي سمع رنين التليفون. اندهش من ظهور الاسم:

\*Reem

انتظر لحظات قبل أن يفتح الحط.

قبل أن يلومها لأنها لا ترد على مكالماته، قالت:

"اسمع يا مهاب، أريد أن أضع النقط فوق الحروف حنى لا تنعب نفسك."

مع صوت تنفسها اللاهث، وأدرك ارتباكها وتوترها:

"اسم، هذه طلقة ثالثة، وبعد انقضاء العدة سأكون حرة، سأتزوج كما أريد."

نحولت المكالمة إلى كابوس.

قال ببطء، وبصوت خفيض، إنها في الأوراق الرسمة ما زالت على ذمته، وأنه لم يطلقها، وساعة الجد لن تعرف ماذا سيفعل. القضايا أمر سهل. أن يرفع عليها قضية الجمع بين زوجين، ويمكنه أن يأتي بها إلى بيته، بسهولة، لكنه إلى الآن لم يستخدم ممها أي شيء. يمكن أن يطلبها عن طريق البوليس أو يرفع عليها قضية نشوز، أو اختطاف، كل شيء متاح.

أغلق الخط.

## ...

وقف أمام باب العمارة ينظر إلى ضوء الشمس الغارب بذهول، بحس أنه يتحول. لم يعد مهاب الذي يعرفه. شخص آخر يرى بعيون أخرى. يرى اهتزازا هينا لغسيل منشور في شرفة في الطابق السادس في العمارة المقابلة. يرى انسحاب الضوء ببطء من فوق كراتين مرصوصة أمام عل بقالة.

فتح باب السيارة واستعد للانطلاق إلى عمله. وجد الفكرة حاضرة في ذهنه:

"سوف يرش وجهها بماء النار." فكرة امتلكت توة وثقلا وقدرة على التنفيذ أرعبته. في الصيللية لم يرد على فهمي هندما سأله حما به. قال ب:ه::

"اتركني في حالي."

انسحب فهمي إلى داخل الصيدلية ومن هناك سأله إن كان يمكنه العمل الليلة. بدا في كامل تركيزه، وقدرته، رغم أن وجدانه مذهول. شعر بأنه يمكنه أن يدير العمل اليوم بانتياه أكثر مما أداره في الأيام السابقة.

قضى الليلة في الصيدلية. لا يرغب أن يدور بالسيارة في المدينة، سكن في مكانه. يقوم ليصرف الروشيتات. يعود إلى مكتبه. صوت التليفزيون يتردد عند حافة الوعي. ذهنه يعمل وحده، بلا سيطرة منه. يعيد تأمل فكرة الحرق بالنار، مرة بعد مرة. كيف جاءت الفكرة بهذا الوضوح، واستقرت في خواطره وحملت الملجأ الوحيد له من الألم.

يوم الجمعة الماضي، أخذ السيارة إلى ورشة الأسطى "همود" لكي يعمل لها صيانة. سمع أحد العمال يقول لصاحب: "إن غدرت بك، أشوف لك عيل يرشها." انتبه للفكرة والبساطة التي قبلت بها وسأل الأسطى "عمود" عما يعني به "يرشها". قال ضاحكا: "يحرق وجهها بماء النار." كان الموقف عابرا، لا يخصه. حوار بين طرفين، وهو يجلس على مقعد خشي بجانب باب الورشة والأسطى عمود يفك فطاء الموتور وبجدته عن المرحوم والده وسنوات المسبعينات وما فيها من مباهع، خاصة الحشيش النظيف.

ظهرت هذه الجملة اليوم، كأنما قيلت يوم الجمعة الماضي بغرض أن تصبح حلا له الآن. خزنتها ذاكرته بعمد، كسكين تم إخفاؤه في منطقة سرية، سيلمع ساعة اللزوم. يمكنه أن يذهب إلى العامل في ورشة الأسطى محمود، أو أن ينفذها بنفسه. لا، لا، لن يؤجر أحدا ليقوم محله برشها بماء النار. هو من سينفذ. الميل إلى التنفيذ بنفسه وجد هوى باطنيا أدهشه. ظل يدخن، مدركا أنه على وشك أن يغلق الصيدلية وينطلق بالسيارة، يشتري ماء النار ويتظرها أمام البيت.

جاء وقت إغلاق الصيدلية. عرف أنه لن يتمكن من النوم، ولا يريد أن يلف بالسيارة في المدينة كما يفعل كل ليلة. تناول قرصين مهدئين، ربما يتمكن من النوم، ويتخلص من ذلك الشخص الذي ظهر له، عنيدا ومصرا على تشويه وجه ربم بماء النار. أغلق الصيدلية. ظل جالسا في السيارة يدخن غير قادر على إدارة المفتاح.

صمد إلى شقته متعبا. ربما يُبدد النوم تلك الخواطر. النوم موتة صغرى كما يقولون. سوف يصحو، ولا يجد الفكرة. سيتلاشي كل ذلك، ويطلق ربم ويستريح.

## \*\*

في مساه البوم التالي أصبحت الفكرة أكثر رسوخا والنوم منحه تحيزا لها ورغبته فيها نشطت وتفلت من منابع عهولة. فتح باب السيارة. عرف أنه لن يذهب إلى الصيدلبة. ظل جالسا لا يدير المفتاح. اتصل بفهمي وأخبره أنه لن يجيء اللبلة. ظل يحتمي داخل السيارة من الفكرة التي تتخايل له على أنها الأمر الوحيد الذي يهدئ روحه. لا يقدر على السبر، فلا يضمن ما يمكن أن يحدث. الأحسن أن يقى مكانه حتى يتين من هو وإلى أين سوف يمضى. الفكرة تمعل سرا وتجذبه أكثر إليها. أول مرة يواجه إغواء الأفكار الشريرة، ويعرف أنها تعلو بالمره. تجعله لا يلمس أرض الناس. يمشى وحيدا قويا فوق أرض أخرى.

لم يتخيل لحظة واحدة، أنه يحمل بين جوانحه ذلك الشر، مستترا بالملابس والأهل والنجاح والعلاقات الطيبة. الآن يصدق. بميل إلى الفكرة ومرعوب من ميله إليها. مضى الوقت دون أن ينتبه حتى بانت أضواء المحلات. الفكرة تتحور وتظهر أنها طريق يجب السير فيه. تحمل نفس الثقل والجاذبية التي ظهرت بهما في أول مرة.

بعد فترة من التدخين، استماد حسه العادي بنفسه، لكنه ظل أسير فكرته، بل أخذ الهدوء ينظمها ويتأملها، وكلما طردها، عادت لامعة، وبتركيز أكبر وتنوع غريب؛ من حرق الوجه بماء النار إلى الخنق إلى الحبس في غرفة الكراكيب، ووصلت بعض أخيلته إلى القتل. هنا امتدت يده وأدار مفتاح السيارة. سمع الصوت الغريب للموتور فأطفأها مرة أخرى.

نزل وتمشى حتى العمارات العالية الجديدة في نهاية الشارع. عبر السوق الكبير للخضار، وصل إلى الطريق السريع، حقول تمتد حتى الأفق، قمر لامع فضي يطل على مساحات خالية كأن العالم قد تم هجره، وما السيارات التي تمرق على الطريق الزراعي غير فكرة من حياة قديمة لم يعد له وجود فيها. القمر بعيد وضوؤه ساكن فوق غيطان واسعة لها رائحة غرية جذابة. تشبه رائحة أحد عطور "رع"

القديمة. مشى متعبا حتى تفصد جسده بالعرق. عاد مرة أخرى السيارة في مكانها. وجد التليفون يرن. دون أن ينظر إلى شاشته، دفعه بغيظ في الدواسة.

أدار السيارة وانطلق بها.

...

تخطى الاستاد الرياضي ثم دار وعاد إلى شارع البحر. رجع مرة أخرى إلى الاستاد. قاد السيارة خارجا من المدينة. توقف بجانب قنطرة مهجورة، تمتد فوق ترعة، ينمو البوص بكثافة على شاطئها. ضوء القمر يتألق على سطح الماء. التموج الهين ببعث ظلالا، ويمنح اللمعات رعشة خفيفة إثر حركة الماء.

لا يستطع أن يدير وجهه هما تكشف له. كيف بمكن إن يداري الأمر على نفسه. أجبرته الحوادث أن يحدق في أعماقه وتكشف له وجهه الآخر. إحدى صوره التي لا يعرفها. أراد أن يسبر بعيدا من هنا، من نفسه، من المدينة، عله يتخلص من سيطرة الفكرة، لكنه لا يقدر. والفكرة تنشط في الظلام؛ تفاضل بين القتل والحرق بماء النار. المنعة التي لاحت في فعل الشر مذهلة وذات صلة بمنعة الحب؛ المعنف له لذة تشبه اللذة الجنسية. الغريب هو البرود الذي نتم به المفاضلة بين القتل والحرق بماء النار.

يفكر في اللحظة التي سيسمع فيها صرختها ويرى وجهها وقد تحول إلى وجه بشع فقد ملامحه الجميلة. سوف تتبدد "ريم" التي يعرفها؛ العيون التي تلمع بشرود في لحظات الحب، وتلمع ببهجة أثناء الفرح، وبشهوة غامضة أثناء الرقص. سوف تنظر إليه برعب وهو يرش وجهها بماء النار. سوف يسكنها الفزع وعدم التصديق طوال عمرها. ستكون الحياة قد انتهت، وتحولت إلى "ريم" أخرى. يريد حقا أن يمحو بماء النار "ربم" التي يعرفها، ويستبدل بها أخرى لها وجه مشوه، مع احتفاظها بنفس الشخصية والذاكرة حتى تتعذب. فكرة القتل لا تفي بالغرض. حرق الوجه هو المراد. في تلك الحالة سوف تعيش له وحده. وتعيش "رع" الجديدة المشوهة تتحسر على "رع" القديمة. الأفكار ممتمة، وعواطفه الثقيلة تتشكل هنا.

## تمت المفاضلة.

تتموج الرغبة مع موجات المشاعر، ومع تلائق ضوء القمر على ماء الترعة ونفشل محاولاته في التفكير بمقلانية للتخلص من فكرة الحرق. يمكن أن يذهب إلى ببت حماته ويطلب أن يرى "مني"، ثم يأخذ البنت، وعندها سوف تأني "رع"، في هذه الحالة يمكن أن يتفاهم معها. تلك الأفكار المسالة تتوارى بسرعة أمام جاذبية محو "ريم" لكي نبقى له وحده، محو الصورة الحالبة حتى لا يمتلكها أحد غبره. التخلص منها هو الوسيلة الموحية للاحتفاظ بها

لا يعرف إن كان قد خفا أم أنه ذهل عن نفسه، جالسا في مكانه أمام عجلة الشبادة. حتى لاحظ الضباب يبلل زجاج السبارة الأمامي، ويجوم فوق الترعة. أدار الحرك واتجه ناحية المبتة واجهه الطريق الزراعي خاليا مفتوحا كانه نهر بقود إلى أماكن أخرى شعر برغية في الاندفاع. أطلق سرعة السيارة. حتى مدرسة الزراعة ومصانع طف الدواجن وجباسات الرمل والأممنت والنصب النذكاري للشهداء، ومحطات البنزين كل منظل يتوارى بسرعة كأنه من ورق. زاد من سرعة السيارة متضا ومترقبا وناظرا بحدة إلى الأمام.

كانت السرعة أزيد من اللازم عندما واجهه جسر ملوي. حاول أن يكبع السيارة. داس بقوة دواسة الفراس، أدرك أنها تدفع هواء ولا تكبع السرعة قال أنظمت فرامل هنا؟ تركها تندفع إلى قمة الكويري، لكنها لم تمكن من الصعود إلى ذروته. عند أعلى نقطة فقدت قوة الدفع وفي نفس الوقت توقف للوتور. بدأت تتحدر إلى الراء، لم ير سيارة النقل المقادمة إلا في فيظة المراجع.

لم يعد يعبأ يشيء.

# بتراجع تاركا ما مجدث مجدث.

## ...

تبقت في ذهنه أخيلة لحظة الاصطدام: صوت مشم الرجاج. انحراف سيارة نقل عن الطريق. اصطدامه بالرصيف وانقلاب السيارة. صخب وزعيق. صوت سارينة الإسعاف جاء بعد أن مات وشبع موتا. كل هذا يعرفه دون أن يراه. مناطق الألم متنوعة شوشت على بعضها. الخدر والتنميل بدأ. الأرض ترتعش. الفضاء به حركة غير مرئية. انقطت الكهرباء عن الجاذبية الأرضية. انفلتت الأشياء من عقاماً. طارت السيارات والناس وصناديق الزيالة الزرقاء وأفران الخبز والبيوت وأكياس الشبسي ورع بملابس النوم وسلع السوير ماركت المتنوعة وكل أدوية الصيدلية، والموبايلات وأطباق الدش. الأشياء بلا ثقل. خفيقة تتجول في السماء دون أن تتصادم.

قاب كل شيء، وجاء وقت السقوط. قال لنفسه: لقد مت، وهو يواصل السقوط إلى الأرض السابعة التي سيصل إليها بعد مئات السنين. اندهش من سحر الموت ومرحه، كأنه أرجوحة المهد، لماذا يخافه الناس؟ إنه أمر بسيط. سقوط بلا نهاية. وعندما تصل هناك لن تكون موجودا. وعيك الذي يرهقك لن يكون ممك. و"مهاب"

الذي بحب "رم" سيتكسر مثل إناء من الفخار، ثم يتحول إلى العناصر التي كانها قبل أن يتشكل إلى ذلك الكائن المجيب. كل الآلام خفيفة وكل تشبث لا معنى له. الأيام التي عاشها، مخات تعبر دون أن تترك أثرا، وفي عمق الموت، رأى معدن الحباة، وشعر بالحزن لأنه حصر نفسه في أمور صغيرة هشة، وكان يملك اتساعا لانهائيا، أضاعه بسذاجة، وجبن. تمنم: "يا خسارة." بإحساس عميق أنه أهدر حياة كانت بين يديه؛ أثمن من نفسه وحبه ونجاحه.

## ...

خرفة المستشفى واسعة. ضوء خافت يأتي من نافذة على البسار. بدور في فلك آخر. يشعر بالراحة لتلك الأخيلة التي تعجن المزمن ولا تقيم حدودا بين الأشياء، مستمتعا بصوت حديثه لنفسه الخفي المهدهد، وبالصور التي تتراءى عابرة وعبه كما يعبر سرب طور صفحة السماء.

تنبعث في ذهنه لحظات لم يكن يظن أنها ظلت حبة، كأن كل ما عشناه خالد، غزن في مكان ما. صور قديمة مثل صورة أبيه برداء الجيش وصورة أمه بالجيب القصير أثناء عملها مدرسة رسم، وجدته تحيطه بذراعيها أثناء جلوب على قاعدة النافذة، يتفرج على سوق الحضار البهي الألوان صور غريبة تنزاح: طرق صحراوية، مراكب في النيل، صيادون على شاطئ البحر، يصعد سلما ضبقا كي يصل إلى قمة الجبل ليشاهد الدير ويتحدث مع راهب كان صديقا له أيام المدرسة الثانوية. شكى له حاله، فابتسم بسمة طببة وقال له: "صُر ولعك وألقه في النيل". يفكر أن هذا الصعود إلى الجبل كان ضروريا حتى ينفك الارتباط بينه وبين ذلك الشخص الذي كانه.

مهم صوتا يهمس بجواره. فتح عينه. أمه تجلس في الركن وفي يدها مسبحة. صوت "مني" تلعب في طرقة المستشفى. "فهمي" ينظر إليه باستغراب. هناك امرأة ترتدي النقاب تجلس في الركن بين أمه وأخته. عرف أنها رج:

"نقاب؟"

"لا يهم ماذا يرتدي المرء."

"هي حرة." بدت له الكلمة طبية، خلاص، أجمل من الخلاص

الذي جربه وهو يسقط أثناه الحادثة، وشعر بخفة فسيحة أثناء تكراره:

"هي حرة"

'هي حرة"

'هي حرة'

الأربعاء ١١ مايو ٢٠١٦



ماذا تريد ريم؟

سأل "مهاب" نفسه محاولا اكتشاف سر تعلقه بها.

ريم تريد أن ترقص في كل مكان.

"تزدهر فيها حياة أخرى أثناء الوقعن: جسدها يمثل قموج الماء وليوته كأن الحيوية الكامنة في قلب الحياة قدير إلى تفسيها في ترقص توجه. تصح جسدا تمزوجا بالموسيتى، يهل جوهرها لامعاء مصيناً، كأنه تجهر يحيط من التسداء.

مل تريد ريم أن تنزوج مرة أخرى وهي لاتزال زوجته؟

يعيش مهاب الأجواء الداكنة لهذا السؤال، محاولا فهم ما حدث ولماذا تركت البيت وتركت له حيرة أربكت حياته.

ولد "عادل عصمت" في محافظة الغربية سنة ١٩٥٩، تقرح في قسم الفلسفة - كلية الآداب - جامعة عن شمس سنة ١٩٨٤، صدوت الكانب بحرعة قسمس تصورة باسم "قصاصات" عن الهيئة المصرية للكتاب، وعنده من الروايات، منها: "هاجس موت" و"الرجل العاري" و"حياة مستقرة" و"أيام النوائذ الزوافاة، التني حازت على جائزة الدولة التشجيعية في الرواية سنة ٢٠١١، عن دار شرقيات، وكلب "ناس وأماكن" عن هيئة قصور الثقافة، ورواية "حكايات يوسف نادرس"، الحائزة على ميدالية نجيب محفوظ للأدب سنة ٢٠١٦ من قسم خان للنشر ١٠٩م، عن العالمرة، عن الكتب خان ورواية "صوت الغراب" عن الكتب





الفلاف من احمال الفنالة عين ساكوفكن